

فِي قِرَاءَةِ

# النُّصُورِ وَالْأَدَبِيَّةِ

مِنْ لُجَّةِ وَتَطْبِيفِكَ

تأليف

دكتور نديك محمد شادي

أستاذ الدراسات الأدبية المساعد  
كلية التربية جامعة عين شمس

Editions  
Al-Adab  
1923

42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

شبكة  
الألوكة  
www.alukah.net

مكتبة الأداب  
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

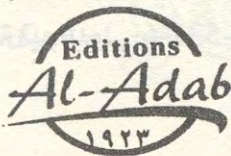
# في قراءة النصوص الأدبية

نماذج وتطبيقات

دكتور/ نبيل محمد رشاد  
أستاذ الدراسات الأدبية المساعد  
بكلية التربية - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م



٤٢ Opera square - Cairo - Egypt

مكتبة الأديب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٨٦٨-٢٢٩٠٠

البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com





## بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

رشاد ، نبيل محمد.

فى قراءة النصوص الأدبية: نماذج وتطبيقات/ نبيل

محمد رشاد. ط ١. - القاهرة: مكتبة الآداب،

٢٠١٣.

١٢٨ ص؛ ٢٤ سم.

تدمك: ٦ ٥٣١ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الأدب العربى - تاريخ ونقد.

أ - العنوان

٨١٠،٩

الناشر

مكتبة الآداب  
على حسن

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail: adabook@hotmail.com

رقم الإيداع: ٧١٢٧ لسنة ٢٠١٣

I.S.B.N: 978-977-468-531-6-6 الترقيم الدولي



## اهداء

لـ أبناء الأعماء

هشام، ومنال، ومحمد

راجيا أن يستفيدوا مما  
في هذا الكتاب من  
قيم أخلاقية عالية،  
ولغة أدبية راقية،  
ومعارف متنوعة جمّة.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

موضوع هذا الكتاب هو القراءة بعامة، وقراءة النص الأدبي بخاصة، وهو يهدف إلى تنمية المهارات القرائية لدى القارئ العام، والطالب المتعلم، والمعلم الذي يتصدى لتدريس اللغة العربية وآدابها في مراحل التدريس المتعددة، فهو يهدف أولاً إلى تنمية مهارة القراءة الجهرية لدى هؤلاء جميعاً بما ضم في فصليه من نصوص شعرية ونثرية ذات أسلوب جَزَل، وبما هيأتُ لتيسير قراءة هذه النصوص من ضبط بنيتها الصرفية والنحوية ضبطاً كاملاً.

وهو يهدف ثانياً إلى تنمية مهارة القراءة الصامتة، تلك القراءة التي يقوم فيها المرء بمطالعة الموضوع بعينه للوقوف على أفكاره ومضامينه، وذلك بما وضعت على هذه النصوص من شروح وتعليقات.

وهو يهدف ثالثاً إلى تنمية ملكة القراءة الناقدة، تلك التي تتعدى دائرتي النطق الصحيح، ومعرفة المعاني والمضامين إلى تحليل الخطاب المقروء للوقوف على مكوناته الأولى من ناحية، وللتعرف على ما به من وجوه الحسن أو القبح من ناحية ثانية، وللتعليق عليه وتبني موقف مؤيد أو معارض له من ناحية ثالثة، وذلك بما كتبت من تحليل لبعض هذه النصوص.

والكتاب كما قلت ينقسم إلى فصلين، أما أولهما فهو بعنوان: في قراءة الشعر والنثر، وقد قمت فيه بقراءة عدد من نصوص هذين الفئتين العربيين، وأول نص اخترته وقرأته في هذا الفصل كان لشاعر جاهلي قديم هو العريان بن سهلة الجرمي، وكان في وصف البخل والكرم، وهو من النصوص التي أوردها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في كتابه ديوان الحماسة، وأتبع هذا النص وقراءته بنص آخر هو نص أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء الذي أوصى

فيه عند احتضاره ولده مالكاً بوصايا جامعة، وهو من النصوص الرائعة التي أوردها أبو علي القالي في أماليه، وقد حاولت أن أتبين من خلال قراءة هذا النص وتحليله مجموعة القيم الإيجابية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

والنص الثالث في هذا الفصل كان لأبي العلاء المعري من ديوانه سقط الزند، وحاولت من خلال قراءتي له أن أجلو للمقارئ صورة أبي العلاء المعري بجانبها الإيجابي والسليبي.

وانتقلت بعد ذلك إلى الأدب الحديث والمعاصر فقدمت قراءة لديوان أستاذنا الدكتور سعد دعبيس: "قصائد للإسلام والقدس"، وعرضاً لأقصوصة بكاء الشادوف للأستاذ محمد عبدالحليم عبدالله من مجموعته "النافذة الغربية".

ونأتي بعد ذلك إلى الفصل الثاني من فصول الكتاب، وعنوانه: نصوص القراءة الجهرية، وموضوعات المطالعة الصامتة وقد تَخَيَّرْتُ فيه ثلاثة نصوص من كتاب الأمالي لأبي عالي القالي، وأولها نص مرثد الخير بن ينكف في الدعوة إلى السلام، ومرثد الخير أحد أقبال اليمن في الجاهلية، وقد وصفته المصادر الأدبية والتاريخية بحسن سياسة الرعية، والعمل على إصلاح ذات البين، وكان يدفعه حبه لبني قومه على بذل غاية جهده في لم شملهم، ورأب صدعهم، ولقد وقع نزاع بين رجلين من كبار رجالات عصره هما سبيع بن الحارث، وميثم بن مثوب وقد أدى هذا النزاع إلى أن شمع كل واحد منهما بأنفه على الآخر، وكاد الشر يتطاير وكاد حيَّاهما يتقاتلان، فدعاهما مرثد، واستمع منهما، وأصلح بينهما، وبذل لهما النصيح والرأي، وخرجا من عنده متكفين متحابين.

ولقد حكى ما كان من أمر هذه المصالحة من رجالات اليمن من حضرها ووعاها، وظلت الأجيال من نسل مرثد تحرص على رواية خبرها اعتزازاً منهم بالانتماء إلى هذا الجد الجليل، ووصلت هذه الرواية إلى أبي علي القالي عن

طريق ابن دريد الأزدي، ورواها أبو علي على طلبته في حلقة العلم بالمسجد الجامع في قرطبة، عاصمة الخلافة الأموية بالأندلس؛ ليضع أمام متأدبة العربية من أبناء الغرب الإسلامي صورة من صور الحكم العربي الرشيد.

ولقد أوردت هذا النص، ووضعت عليه أكثر من أربعين هامشاً شرحت فيها غريب ألفاظه، وبيّنت فيها دقائق معانيه، ورجوت أن يستفيد القراء وطلبة العربية مما فيه من لغة وأدب، وحكمة ومثّل.

والنص الثاني كان نص خنافر بن التوأم الحميري، وهو نص يحكي فيه صاحبه ما كان عليه في الجاهلية من تشرذم وضياع، حيث كان لصاً فاتكاً، لا تسلم من شره قبيلة، ولا ينجو من فتكه فارس، وكان له رأي من الجن يهديه إلى طريق الغواية، وبعدهما بعث الرسول ﷺ أسلم هذا الرئي على يد نفر من صالحى الجن، وأقبل على صاحبه خنافر فدعاه إلى الإسلام فأسلم وصار رجل خير وبر بعد أن كان رجل فتك وشر. روى خنافر قصته هذه، وقد أوردتها في كتابي هذا لأنها عندي أشبه ما تكون بلون من ألوان السيرة الذاتية، أو بنوع من أنواع أدب الاعترافات، ولست أشك أيها القارئ أن هذه القصة ظلت تروى بالمشافهة حتى وصلت إلى مسامع أبي بكر بن دريد فألقاها على تلامذته في بغداد في العصر العباسي، وتلقفها أبو علي القالي من أستاذه ليرويها على طلبته ويسجلها في أماليه بوصفها نصاً أدبياً يحكي ضرباً متميزاً من ضروب النثر الفني العربي.

ولقد قمت بخدمة النص عن طريق شرح غريب ألفاظه، وبيان خفي معانيه فيما وضعت عليه من هوامش.

وآخر هذه النصوص المختارة من كتاب الأمالي هو نونية ذي الإصبع العدواني في العتاب والفخر الذاتي، وهي قصيدة رنانة طنانة، اهتم بها العلماء القدماء، وأودعوها كتبهم التي ألفوها في الاختيارات الأدبية، ومن هؤلاء

المفضل الضبي، وأبو علي القالي، واهتم بها في العصر الحديث مؤلفو كتاب المنتخب من أدب العرب الأساتذة الأعلام طه حسين، وأحمد الإسكندري، وأحمد أمين، وعلي الجارم، وعبدالعزیز البشري، وأحمد ضيف، وأوردوا بعض أبياتها في الجزء الأول من كتابهم، واعتمدوا فيما شرحوا في هوامشهم من ألفاظها على ما ذكره أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري في شرحها دون أن يزيدوا عليه شيئاً.

ولقد وضعت على هذه القصيدة أربعين هامشاً لشرح غريب ألفاظها وبيان دقائق معانيها، وسوف يرى القارئ أن هذه الهوامش الشارحة للنص تريبو فائدتها على ما صنعه في شرح النص والتعليق عليه أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري على ماله من السابقة والفضل.

ولا يفوتني هنا أن أترحم على فضيلة الوالد<sup>(\*)</sup>، وإني لأرجو من كل من يقرأ كتابي هذا أن يترحم عليه، فلقد كان يجب كتاب الأمالي، وهو الذي هداني إليه، ودعاني إلى قراءته، وحفظ ما يمكنني حفظه من نصوصه الشعرية والثرية، فرحمه الله رحمة واسعة، وغفر لنا وله.

ويلي هذه النصوص الثلاثة موضوع من رجالات العرب، وأوردت فيه مقالين قصيرين كنت قد كتبتهما من ذي قبل؛ أحدهما عن قس بن ساعدة خطيب إياد وحكيمها المشهور في الجاهلية، والآخر عن الأحنف بن قيس سيد تميم وكبيرها في الجاهلية والإسلام.

وختمت الفصل بإيراد بحث كنت قد نشرته من قبل عام ٢٠٠٩ بمجلة كلية

(\*) هو فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد رشاد مصطفى حسن الشيخ علي (١٩١٦م - ٢٠٠٨م)، راجع في سيرته ومسيرته، وأثره في بيئته ومجتمعه، وحاجة المثل العليا إليه مقالنا: الشيخ محمد رشاد مصطفى عالم من الزمن الجميل، وهو الفصل الخامس من فصول كتابنا، شخصيات مصرية.



الأداب جامعة الزقازيق عن المقارنة بين تحقيق الأستاذين الجليلين حسين علي محفوظ، ومحمد عبدالقادر أحمد لكتاب أمهات النبي ﷺ لمحمد بن حبيب البغدادي. واني لأسأل المولى ﷻ أن ينفع بكتابي هذا وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن يوفني لخدمة اللغة والدين، وأن يغفر لي ما مضى، وأن يسدني فيما بقي؛ إنه ولي ذلك، والقادر عليه، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفقير إلى الله تعالى

د. نبيل محمد رشاد

أستاذ الدراسات الأدبية المساعد

بقسم اللغة العربية - كلية التربية

جامعة عين شمس



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
7	.....	7
8	.....	8
11	.....	11
14	.....	14
17	.....	17
19	.....	19
21	.....	21
24	.....	24
26	.....	26
27	.....	27
28	.....	28
29	.....	29
30	.....	30
31	.....	31
32	.....	32
33	.....	33
34	.....	34
35	.....	35
36	.....	36
37	.....	37
38	.....	38
39	.....	39
40	.....	40
41	.....	41
42	.....	42
43	.....	43
44	.....	44
45	.....	45
46	.....	46
47	.....	47
48	.....	48
49	.....	49
50	.....	50
51	.....	51
52	.....	52
53	.....	53
54	.....	54
55	.....	55
56	.....	56
57	.....	57
58	.....	58
59	.....	59
60	.....	60
61	.....	61
62	.....	62
63	.....	63
64	.....	64
65	.....	65
66	.....	66
67	.....	67
68	.....	68
69	.....	69
70	.....	70
71	.....	71
72	.....	72
73	.....	73
74	.....	74
75	.....	75
76	.....	76
77	.....	77
78	.....	78
79	.....	79
80	.....	80
81	.....	81
82	.....	82
83	.....	83
84	.....	84
85	.....	85
86	.....	86
87	.....	87
88	.....	88
89	.....	89
90	.....	90
91	.....	91
92	.....	92
93	.....	93
94	.....	94
95	.....	95
96	.....	96
97	.....	97
98	.....	98
99	.....	99
100	.....	100



## الفصل الأول

### في قراءة الشعر والنثر

- ١- صورتان البخل والكرم - للعريان بن سهلة الجرمي.
- ٢- من أدب الوصايا للأوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء.
- ٣- في الفخر الذاتي، لأبي العلاء المعري.
- ٤- قراءة في ديوان قصائد للإسلام والقدس للشاعر الدكتور سعد دعيبس.
- ٥- بكاء الشادوف لمحمد عبدالحليم عبدالله.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

3	5
6	7
8	9
11	12
14	15
16	17
18	19
20	21
22	23
24	25
26	27
28	29
30	31
32	33
34	35
36	37
38	39
40	41
42	43
44	45
46	47
48	49
50	51
52	53
54	55
56	57
58	59
60	61
62	63
64	65
66	67
68	69
70	71
72	73
74	75
76	77
78	79
80	81
82	83
84	85
86	87
88	89
90	91
92	93
94	95
96	97
98	99
100	101



- ١ -

## صورتان البخل والكرم

- ١- مررتُ على دارِ امرئِ السوءِ حَوْلَهُ  
للعريانِ بنِ سهلةِ الجرمي
- ٢- فقالَ ألا أضحتَ لَبُونِي كما نرى  
لَبُونُ كَعِيدَانِ بِجَائِظِ بُسْتَانِ<sup>(١)</sup>
- ٣- فقلتُ عَسَى أَنْ يَخْوِيَ الْجَيْشُ سَرِبَهَا  
كَأَنَّ عَلِيَّ لِبَاتِهَا طِينُ أَفْدَانِ<sup>(٢)</sup>
- ٤- ورختُ إلى دارِ امرئِ الصُّدُقِ حَوْلَهُ  
ولا واحداً يَسْعَى عَلَيْهَا ولا ائْتَانِ<sup>(٣)</sup>
- ٥- ومنحَرُ مِثَاثٍ يُجْرُ حَوَارِهَا  
مَرَابِطُ أَفْرَاسٍ وَمَلْعَبُ فُتْيَانِ<sup>(٤)</sup>
- ٦- فقلتُ لَهُ لَأَيُّ أَثِيَّتِكَ رَاغِيَا  
بِذَعْلِبَةِ تُذْمِي وَإِنِّي امْرُؤٌ عَانِي<sup>(٥)</sup>

(١) اللبون: الإبل ذات الألبان، والعيدان: طوال النخل، والمراد بالحائط: موضع الشجر.

(٢) اللبات: جمع لبة، وهي المنحر. والأفدان: القصور.

(٣) السرب: الجماعة من النساء والأنعام والطير، وأراد بها هنا الإبل.

(٤) امرئ الصدق: هذا تخصيص للممدوح كقولهم رجل الحق وفتى الحرب.

(٥) الحوار: ولد الناقة ومثالث: أي إبل مثالث.

(٦) العاني: الخاضع الذي يُطلب في دم. وذعلبة: الناقة السريعة، وتذمي: أي يخرج الدم من مناسمها لكلاهما.

- ٧- فقال ألا أهلاً وسهلاً ومرحباً  
 جَعَلْتُكَ مِنِّي حَيْثُ أَجْعَلُ أَشْجَانِي<sup>(١)</sup>
- ٨- فَقُلْتُ لَهُ جَادَتْ عَلَيْكَ سَحَابَةٌ  
 بِنُوءٍ تُنَادِي كُلُّ فَعْوٍ وَرِيحَانٍ<sup>(٢)</sup>
- ٩- وَقُلْتُ سَقَاكَ اللَّهُ خَمْرَ سُلَافَةٍ<sup>(٣)</sup>  
 بِمَاءِ سَحَابٍ حَائِرٍ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ مُصْدَانٍ<sup>(٥)</sup>

### القراءة

يرسم الشاعر في هذه الأبيات صورتين؛ إحداهما للبخل، والأخرى للكرم، فيذكر أنه مرَّ على دار رجل بخيل دار امرئ السوء حريص على ماله، حوله في بستان له إبله، وهي طويلة كالعيدان؛ أي كأشجار النخل الباسقات، وسمينة قد اكتنزت لحمًا وشحمًا، وامتلات أنداؤها باللبن، وقبل أن ينطق الشاعر بحرف بادره صاحب الدار:

فقال ألا أضحت لبوني كما ترى

كأن على لباتها طين أفدان

وهو بهذا يريد أن يصرف الشاعر عن أن يفكر في شيء يناله من القرى؛ لأن هذه الإبل أصبحت لسمنها ووفور لحمها وشحمها كالقصور الباذخة التي اهتم بها أصحابها فأحسنوا بناءها وطلاءها حتى تكون بهيجة ممتعة تسرُّ

(١) الأشجان: جمع شجن وهو بمعنى الحاجة.

(٢) النوء: المطر. والفغو: نور الحناء. والريحان: الثبت الطيب الرائحة.

(٣) السلاف: الخمر المعتقة.

(٤) حائر: متردد.

(٥) المصدان: جمع مصاد وهي الهضبة العالية.

الناظرين، فهذه الإبل ليست للذبح والسلخ والطبخ، وإنما هي مقصورة على الزينة، يتمتع صاحبها برؤيتها رائحة وغادية في بستانه وحسب، وهنا تمنى الشاعر شيئاً في دخيلة نفسه لما رأى من بخل صاحب البستان، وهو أن تُغَيَّرَ قبيلة أو طائفة من صعاليك العرب على هذا الرجل وتسلبه هذا المال الوفير الذي حبسه على متعة نفسه، ولا تُبقي له شيئاً يستمتع به منه.

ومرَّ على دار رجل كريم جواد ليس من همه أن يثمر إبله ليستمتع بها رائحة وغادية في بستانه، وإنما هو رجلٌ مشغولٌ بإحراز المكرمات، حوله مرابط أفراس لما له من عناية بالفروسية، يتدرب عليها، ويدرب عليها الفتيان، ليشبوا أقوياء وأشداء على أعدائهم، وهو سخيٌّ جواد، ينحر النوق العشار الصحيحات، ويقري منها ضيوفه ولا يبخل بها عليهم، فأقبل عليه وقال له: -  
إني أئيتك راغباً أي في كرمك وجودك، ولقد قطعتُ إليك الفيافي على هذه الناقة المنهكة، وجئتك من مكان بعيد حتى لقد دميت أخفاف ناقتي من طول المسير، وإني امرؤٌ عانيٌ أي فقير محتاج إلى عونك وبرك. وهنا تهلل وجه الرجل بالبشر، ورحب بضيفه قائلاً: ألا أهلاً: أي حَلَّتْ بأهلك وعشيرتك، وسهلاً أي نزلت سهلاً من الأرض لينا، ومرحباً أي نزلت مكاناً رحباً فسيحاً يسعك ويكفيك حاجتك ومؤنتك، "جَعَلْتُكَ مِنِّي حَيْثُ أَجْعَلُ أَشْجَانِي" أي أنت في عنايتي ورعايتي وقلبي وصدري أقضي حاجتك، وأدبر أمور معيشتك، وأسعى في مصالحك كما أسعى في مصالحِي سواءً بسواء، وهنا لهج الشاعر بالدعاء لصاحب الدار بالسقيا والإنبات.

وهذا النص يفصح عن نوعية الحياة التي كان العرب يعيشونها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، حيث كانوا لا يعرفون الاستقرار، وإنما كانوا دائمى التنقل بحثاً عن العشب والماء اللذين عليهما تقوم حياتهم وحياة إبلهم وأنعامهم، وكان أغلبهم يعيشون في فقر مدقع، ومن هنا برزت قيمة الكرم في

المجتمع الجاهلي، وهي صفة أخلاقية كان يحرص عليها كثير من أثرياء العرب الذين جادت عليهم الحياة بالوان النعيم؛ لأنها كانت السبيل التي ترشح صاحبها للسيادة والرئاسة في قومه.



*[Faint, mostly illegible handwritten text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page.]*





-٢-

## من أدب الوصايا

للأوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء

روي أبو علي القالي في أماليه قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثني عمي عن أبيه عن هشام بن محمد الكلبي عن عبدالرحمن بن أبي عيس الأنصاري قال: عاش الأوسُ بنُ حارثةَ دهرًا<sup>(١)</sup> وليس له ولدٌ إلا مالك، وكان لأخيه الخزرج خمسة: عمرو، وعوف، وجشم، والحارث، وكعب، فلما حضره الموت قال له قومُه: قد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فلم تزوج حتى حضرك الموت، فقال الأوس: لم يهلك هالكٌ ترك مثلَ مالك، وإن كان الخزرجُ ذا عدد، وليس للملك ولد، فلعل الذي استخرج العدق<sup>(٢)</sup> من الجريمة<sup>(٣)</sup>، والنار من الوثيمة<sup>(٤)</sup>؛ أن يجعل للملك نسلًا، ورجالًا بسلا. يا مالك، النية ولا الدنية؛ والعتاب قبل العقاب، والتجلد لا التبلد. واعلم أن القبر خيرٌ من الفقر، وشرُّ شارب المشتف<sup>(٥)</sup>، وأقبح طاعم المقتف<sup>(٦)</sup>، وذهاب البصر خيرٌ من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عن الحرم، ومن قلَّ ذلٌّ، ومن أمر<sup>(٧)</sup> قل<sup>(٨)</sup>، وخير الغنى

(١) دهرًا: زمنًا طويلًا.

(٢) العدق: النخلة.

(٣) الجريمة: النواة.

(٤) الوثيمة: الحجارة.

(٥) المشتف: المستقصي.

(٦) المقتف: المتعجل.

(٧) أمر: كثر.

(٨) قل: غلب.

القناعة، وشر الفقر الضراعة، والدهر يومان؛ فيومٌ لك، ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تبطر<sup>(١)</sup>، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر<sup>(٢)</sup>، فإنما تُعزُّ من ترى، ويُعزُّكَ من لا ترى، ولو كان الموت يُشترى لسلم منه أهل الدنيا ولكنَّ الناسَ فيه مستوون: الشريف الأبلج<sup>(٣)</sup>، واللئيم الملهج<sup>(٤)</sup>، والموت المفيت<sup>(٥)</sup> خيرٌ من أن يقال لك: هيب<sup>(٦)</sup>، وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة؛ وشرٌ من المصيبة سوء الخلف، وكلُّ مجموع إلى تلف، حياتك إهلك! قال: فنشر<sup>(٧)</sup> الله من مالك بعدد بني الخزرج أو نحوهم<sup>(٨)</sup>.



(١) فلا تبطر: فلا تغل في المرح والزهو.

(٢) سينحسر: سينجلى.

(٣) الأبلج: الواضح.

(٤) الملهج: المتناهي في الدناءة واللؤم.

(٥) المفيت: الذي يفوت على الإنسان بعض متع الحياة.

(٦) هيب: خرفت أو جنتت.

(٧) نشر: بسط.

(٨) الأمالي: ١/ ١٠٢، وقد لفتنى إلى هذا النص الأستاذ الدكتور إبراهيم محمود عوض إذ أورده في كتابه: من ذخائر المكتبة العربية في غضون الحديث عن كتاب الأمالي لأبي علي القالي. الجديد

## القراءة

هذا نص من جملة نصوص كثيرة أملاها أبو علي القالي على تلامذته بالمسجد الجامع في قرطبة حاضرة الخلافة الأموية بالأندلس في القرن الرابع الهجري.

ونلاحظ بادئ ذي بدء أن أبا علي القالي كان حريصاً في أثناء إملائه على إثبات سلسلة السند، ونلاحظ أن سلسلة السند تنتهي برجل أنصاري هو عبدالرحمن بن أبي عيس، والأنصار لفظ يطلق على أهل المدينة المنورة الذين ناصروا رسول الله ﷺ بعد مهاجره إليها من مكة، ومعروف أن أهل يثرب - التي هي المدينة بعد الهجرة - كانوا يتألفون من قبيلتين كبيرتين هما: قبيلة الأوس، وقبيلة الخزرج، وقبيلة الأوس تنسب إلى جدها الأكبر الأوس بن حارثة، وقبيلة الخزرج تنسب أيضاً إلى جدها الأعلى الخزرج بن حارثة، ومعنى هذا أن قبيلتي الأوس والخزرج في أصلهما المشترك البعيد أبناء عمومة فرقت الأطماع بينهم فانقسموا إلى قبيلتين متحاربتين متعاندتين.

وموضوع النص يتعلق بشيء من التاريخ البعيد الذي يتصل بأصل هاتين القبيلتين وبدايته، ومن ثم كنت الرواية عن هذا الأنصاري الذي قد يكون من الأوس على ما يغلب على ظني لتحيزه الواضح لهم، أو قد يكون من الخزرج الذين محا الإسلام من صدورهم إرث الجاهلية الذميمة.

ومعنى هذا أن مضمون النص محكي عن ثقة، خبير به، متيقن منه، ويزيدنا وثوقاً فيه أن هذا المضمون النصي حَدَّثَ به هذا الأنصاري هشام بن محمد الكلبي النسابة المشهور، وهذا النسابة المشهور حَدَّثَ به طلابه ومريديه، ولو كان هذا الأنصاري متجانفاً عن الحقيقة التاريخية في كلامه لما قبله هشام بن محمد الكلبي منه، ولما رواه عنه.

وننتقل إلى أبي بكر بن دريد لتساءل عن سر اعتناؤه بهذا النص وروايته له، إن أبا بكر بن دريد كان إمامًا في اللغة والأدب والأنساب<sup>(١)</sup>، وهذا النص الذي بين أيدينا موضوعه يتعلق بالأنساب؛ لأنه يتحدث عن أصل الأوس والخزرج وما بينهما من العمومة كما سبق أن أشرنا، ثم هو من ناحية ثانية لون من ألوان الأدب الرفيع، وحرّيُّ بنا إن نظرنا إليه هذه النظرة أن يصحح لنا كثيرا من المفاهيم الخاطئة الراسخة في عقول المتأدبين عن النثر الجاهلي وتفاهته وركاكته، ثم هو من ناحية ثالثة يغص بالغريب الذي هو محل اهتمام ابن دريد الأول.

ثم لنا - أيضًا - أن نتساءل عن سر رواية أبي علي القالي لهذا النص في مجالس إملائه في المسجد الجامع بمدينة قرطبة عاصمة الثقافة العربية في الغرب الإسلامي وقتئذ.

هل كان أبو علي يهدف إلى تعريف أهل الغرب بأصل الأنصار الذين ناصروا رسول الله ﷺ، وآووه هو وأصحابه، وأبلوا بلاء حسنًا في الدفاع عنه، ونشر مبادئ الدين الجديد؟

هل كان أبو علي يهدف إلى أن يُدللَّ على علماء قرطبة بمعرفته بغريب اللغة، وأوابدها وشوارد ألفاظها، ليمتاز عنهم، ويتفرد بينهم، وينال الخطوة لدى عبدالرحمن الناصر وولده الحكم فيستأنس ويستعلي؟

هل كان أبو علي يهدف إلى أن يُنقلَّ إلى أجيال المتأدبين من المغاربة والأندلسيين نماذج مختارة من روائع الشعر والنثر العربيين ليستعينوا بها على تمثيل العربية، ولينسجوا على منوالها إذا نظموا أو كتبوا؟

كل ذلك جائز، بل كل ذلك كان يرجوه ويبتغيه أبو علي، لكننا نرى أنه كان يتغيا شيئًا آخر إلى جوار هذا كله، هو أن يعرف الغرب بالشرق، أن يجلو للغرب

(١) راجع ترجمته في الوافي بالوفيات للصفدي ٣٣٩/٢ وما بعدها.

صورة الشرق الفنان، ومن ثم كانت أماليه في أغلبها قصصاً وحكايات، وأخباراً وأشعار تلقى ظللاً على الشرق: سحره وأساطيره، قيمه وأخلاقه، عاداته وتقاليده، مجتمعاته ونظم شعوبه، ساسته وكبار رجالاته.

وتحكي لنا كتب التاريخ والأنساب والمعارف العامة أن الأوس والخزرج هما ولدا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس بن ثعلبة مازن بن عبدالله بن الأزدي بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلاف بن سبا<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أنهما من العرب العاربة التي كانت تقطن جنوبي شبه الجزيرة العربية حيث بلاد اليمن السعيد، وتذكر كتب التاريخ أنهما قد هاجرا مع أبيهما بعد تهدم سد مأرب إلى يثرب<sup>(٢)</sup>، وأنهما قد حالفا اليهود الذين كانوا يعيشون فيها، وأتاح هذا الحلف لحارثة بن ثعلبة وولديه أن يعيشوا آمنين في يثرب فترة من الزمن قويت خلالها شوكتهم، وكثر فيها عددهم.

وتظاهر كتب التاريخ والأنساب ما جاء في رواية أبي علي القالي من أن الخزرج بن حارثة كان له خمسة من الولد وهم: عمرو، وعوف، وجشم، والحارث، وكعب<sup>(٣)</sup>، وأن الأوس بن حارثة لم يكن له إلا ولد واحد اسمه مالك، ومن مالك هذا تفرقت قبائل الأوس وبطونها كلها<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا دلالة لها قيمتها على صدق مضمون الخبر الذي رواه أبو علي القالي في أماليه، ولقد كنا بحاجة إلى أن نتلمس في كتب التاريخ والأنساب مثل

(١) ابن قتيبة: المعارف ص ١٠٩، ويضيف السهيلي حارثة بن عامر، وامرئ القيس، ليكون ابن عامر بن حارثة بن امرئ القيس... إلخ، ويضيف لفظه ابن بين ثعلبة ومازن، ليكون ابن ثعلبة بن مازن.. إلخ. راجع الروض الأنف ١/ ١٤.

(٢) ابن خلدون: تاريخه المسمى بكتاب العبر ٢/ ٨٣.

(٣) ابن قتيبة: المعارف ص ١٠٩.

(٤) السابق نفسه ص ١١٠، وتاريخ ابن خلدون ٢/ ٨٤.

هذا التأييد؛ لأن فريقاً من الدارسين<sup>(١)</sup> ينظر بكثير من الارتياب والشك إلى الأخبار والقصص والحكايات التي أوردها أبو علي في أماليه عادين إياها من الأكاذيب، لا سيما تلك التي يدخل في سلسلة إسنادها هشام بن محمد الكلبي، الذي يتهمه غير واحد من علمائنا القدماء بالتدليس والكذب.

وعلى هذا فليس أماناً - إذن - من سبيل إلى التشكيك في صدق الجانب التاريخي الذي رواه أبو علي القالي عن شيخه ابن دريد في هذا النص، وهذا بدوره يؤدي بنا إلى أن ننظر إلى النص بوصفه وثيقة تاريخية أدبية تحكي جانباً من تاريخ العرب الاجتماعي عصر الجاهلية، وتدلل على منظومة القيم التي كان عليها أهل الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ومن المثير للدهشة أن جميع ما اطلعتُ عليه من مصادر تاريخية لم يشر إلى ما أشار إليه هذا النص الذي بين أيدينا من معايرة بني الأوس لأبيهم بقله ذريته وذلك حين حضرته الوفاة.

والأسئلة التي تتداعى إلى الذهن وتحتاج إلى إجابات شافية، كثيرة ومتنوعة؛ فقارئ النص يجب أن يسأل نفسه: وممن كانت هذه المعايرة أو المعاتبة؟ ولم كانت؟ وما جدواها في هذا التوقيت والرجل على فراشه يعاني من سكرات الموت وأهواله وشدائده؟

وما دامت المصادر التاريخية قد سكتت عن الإشارة إلى هذه المعايرة أو المعاتبة، فمن البديهي أننا لن نجد فيها شيئاً ذا بال يمكن أن نعتمد عليه في الإجابة عن هذه الأسئلة التي أثارناها، ومن ثم فإننا سنلجأ إلى استنطاق النص -

(١) راجع الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي حيث أزرى فيه المؤلف على ابن الكلبي في مواضع كثيرة خذ مثلاً ٧٤٤/٨، ٧٧٧/٨، وانظر: د. إبراهيم عوض: من ذخائر المكتبة العربية ص ١٠٢.

ما أمكن - ليفضي إلينا بأسراره التي من الممكن أن تشكل - مع ما استطعنا أن نلملمه من المصادر التاريخية على قلته - محاولة متواضعة للبحث عن إجابات ما طرحناه من أسئلة.

يذكر النص أن الذين قاموا بمعايرة أوس ومعاتبته على عدم التزوج في شبابه هم قومه، ولفظ القوم يطلق في اللغة على أهل الرجل وعشيرته من الرجال خاصة. ويدخل فيه النساء على التبعية<sup>(١)</sup>.

وما دام أوس بن حارثة لم ينجب سوى ولد واحد هو مالك، فمعنى هذا أن الذين قاموا بمعايرة أوس هم أبناء أخيه الخزرج وأبناؤهم وأحفادهم الذين كانوا إلى جواره وقت احتضاره؛ إذ ليس من المعقول أن يتركوا عمهم في هذا الموقف العصيب وحده يعاني آلام النزع دون أن يكونوا إلى جواره، قائمين على رعاية شأنه وتفقد أحواله، ومعنى هذا أنهم قد شغلوا بعمهم المحتضر عن شئون حياتهم وتجارتهم في يشرب شغلاً ملاً صدورهم ضيقاً، ونفوسهم حسرة، فخرجت هذه الكلمات المعاتبية في غير وقتها لتبلى قد كنا نأمرك بالتزوج في شبابك فلم تزوج حتى حضرك الموت.

وهنا نسأل أنفسنا: هل تزوج الأوس بن حارثة بأخرة من عمره وأنجب بعد أن بلغ من الكبر عتياً ولده مالكا؟.

قد يكون الأمر كذلك، وهو ما يدل عليه ظاهر هذا النص، وإن كنت أستبعده من رجلٍ محافظ لا يستطيع أن يأتي أمراً يرى فيه قومه شيئاً ينكرونه، كما أستبعده من رجلٍ كالأوس بن حارثة يعيش في صحراء شبه الجزيرة العربية في مجتمع قبلي يعرف تعدد الزوجات، ويعتز بكثرة النسل، ولا يري بأساً في التسري بالإماء.

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط ٤/ ١٦٥.

والأقرب إلى التصور فيما أرى أن الأوس بن حارثة قد تزوج في السن التي يتزوج فيها أترابه في شبه الجزيرة العربية، إلا أنه كان لا ينبغي، وقضى شرطاً كبيراً من حياته مع زوجته بغير ولد، ثم أنجب منها ولده مالكا، ثم ماتت هذه الزوج بعد وضعها مباشرة، أو بعد وضعها بمدة قليلة دون أن تنجب له ابناً آخر.

وأنتصروا أن الأوس بن حارثة قد عاش بعدها بغير زوج، حباً لها، ووفاء لسيرتها، وإعزازاً لسنوات إقامتها معه، وخدمتها له.

ولا يستغربن أحدٌ هذا التصور؛ فإن العرب كانوا شعباً متحضراً يؤسس العشرة بعد الزواج على دعائم من الحب والتعاطف والإعزاز<sup>(١)</sup>، وكانوا يفتخرون بحسن معاملة المرأة، ويعدون ذلك من دلائل المروءة، وكان بعض رجالات العرب يشترطون على أزواج بناتهم ألا يتزوجوا عليهن<sup>(٢)</sup>، وقد جاء في أقوالهم المأثورة خير الرجال الذي يكرم الحرة، ولا يجمع الضرة<sup>(٣)</sup>، ولعل زوج أوس بن حارثة كانت من أسرة من تلك الأسر التي تشترط هذا الشرط، وربما كان رفض أوس النزول على رغبة عشيرته في التزوج بغيرها في حال حياتها، ربما كان راجعاً في شيء منه إلى ضرورة الوفاء بما اشترط قومها عليه عند إتمام عقدة النكاح.

وعلى أية حال فإن هذا الجزء التاريخي من النص يدل على مجموعتين متناقضتين من قيم عصر الجاهلية، الأولى، وهي سلبية بطبيعة الحال، وربما كانت تعبيراً عن السائد المشهور من أخلاق القوم وعاداتهم وتقاليدهم، وتمثل في

(١) المرأة في الشعر الجاهلي، د. أحمد محمد الحوفي ص ٢٠٠.

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي للدكتور الحوفي ص ٢٣٥.

(٣) السابق نفسه ص ٢٣٥.



التعبير بقلة النسل من الذكور خاصة، والشماتة والتبكيك في غير وقتها المناسب، والحرص على تعدد الزوجات بداع وبدون داع، في أغلب الأحيان.

والجموعة الأخرى من القيم، هي تلك القيم الإيجابية التي يمكن استنباطها من سلوك أوس بن حارثة حين شدّ أزره، ولم يفت في عضده تسافه أبناء أخيه، وتطاؤلهم عليه حين حضرته الوفاة، لقد كان في مكنة أوس بن حارثة أن يبسط لسانه بالسوء في هؤلاء السفهاء، كما كان في مقدوره أن يأمر ولده مالكاً بطردهم، ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا، وإنما التفت إلى أن له خالفاً قديراً، بيده مقاليد كل شيء، ولا يعجزه في كونه شيء، يُخرج أشجار النخيل الباسقات من النوى الصغير، ويخرج النار العظيمة التي يستخدمها الإنسان في التدفئة، وفي طهي الطعام، وفي صناعة أدوات القتال والحرب، ويعتمد عليها في سائر شئونه؛ يخرجها هذا الخالق القدير من الحجارة؛ أقول: التفت أوس في هذه اللحظة الحرجة من لحظات حياته إلى هذا الخالق العظيم، وعلق آمانياته به<sup>(١)</sup>، ورجا أن يهب لولده مالك نسلًا كثيرًا قويًا، غير ضعيف، ولا هزيل، ولا متحامق، وذلك عندما قال لمعانيبه: "لم يهلك هالك ترك مثل مالك، وإن كان الخزرج ذا عدد،

(١) لا يستغرين أحدًا هذا الكلام؛ فإن المولى ﷺ أثبت أن العرب كانت عندهم بقية من ملة إبراهيم ﷺ، وأنهم كانوا يعرفون الله تعالى حق المعرفة، ولكنهم كانوا عاجزين عن تصور ما يتصف به - جل شأنه - من صفات الكمال والجلال والجمال تصورًا حقيقيًا، فاتخذوا بجهلمهم وضعف عقولهم أصنامًا آلهة لتقربهم من الإله الحق. اقرأ إن شئت قوله عز من قائل: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ العنكبوت ٦١، وقوله جل وعلا: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ العنكبوت ٦٣، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف ٩، وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الزمر ٣٨، وقوله جل ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر ٣.

وليس لمالك ولد، فلعل الذي استخرج العذق من الجريمة، والنار من الوثيمة؛ أن يجعل لمالك نسلًا، ورجالا بسلا.

رجا أوس لولده مالك النسل الكثير القوي الذي يستطيع تحمل أعباء الحياة القاسية التي يجيئونها في صحراء شبه الجزيرة العربية، المترامية الأطراف، الشديدة الجذب، التي تمحق بساكنيها الأخطار من كل جانب؛ لأن البسل جمع باسل، والباسل هو القوي، الشديد الذي حرّم على قرنايه وأنداده الدنو منه، وهو أيضًا المر الذي يذيق أعداءه عرارة بأنته<sup>(١)</sup>.

ولعل القارئ يشاركني الرأي في أن حديث أوس إلى معارضيه بهذه العبارات فيه ما فيه من التعريض بأبناء أخيه الخزرج الخمسة الضعاف المهازيل. وفي تصوري أن أوسًا قد خشى في هذه اللحظة العصبية -أيضًا- على ما سيؤول إليه أمر ولده في المستقبل القريب، فإذا بنا نراه يستجمع قوته، ويقبل على ولده، ويلقنه هذه الكلمات الحكيمة الشاملة التي أوصاه فيها بالعزة، والرفق، والصبر، والعمل، والعفة، والمروءة، والقناعة، والتي علمه فيها آداب الماكل والمشرب، وآداب السياسة، ويئن له فيها حقيقة الدنيا.

### الوصية الأولى: يا مالك: المنية ولا الدنية.

والمنية هي الموت، والدنية هي الخسة والضعفة، وأوس بن حارثة يوصي ولده هاهنا بالترفع والاستعلاء، والإباء والشمم، ويقول له: إن أجاتك تصاريف الزمان إلى أن تختار بين أن تموت كريمًا عزيزًا، أو أن تعيش خسيسًا وضعيًا، فاختر أن تموت كريمًا عزيزًا.

والسر الكامن وراء هذه الوصية وما بعدها من وصايا، هو ما يبتغيه أوس لولده من بعده من مكانة، إن أوسًا يريد أن يرث مالك السيادة من بعده، وهو

(١) الأمالي لأبي علي القالي، مصدر سابق، ١/١٠٣.

يعلم أن الناس تُجمع على اختيار الحر العزيز، والشريف الأبّي سيدًا وزعيمًا، وتأنف أن يلي أمرها خسيس، أو ضيع، أو حقير، ومن ثمّ كانت العزة أول خلة أوصى بها أوس ولده في هذه الوصية الجامعة.

### الوصية الثانية: والعتاب قبل العقاب.

ونلاحظ أن هذه الوصية الثانية تختلف بعض الشيء عن الوصية الأولى، ففي الوصية الأولى أمرٌ ونهي، أمرٌ بالإقبال على الموت، والاحتفاء به، والسعي إليه، وذلك حين تتعذر على الإنسان/ مالك سبل الحياة الكريمة التي تليق به وبأمثاله من أبناء الرجال الكبار، وفيها نهْيٌ عن الوقوع في مخالف الدناءة والخسة، وبرائن السفول والضعفة.

أما هذه الوصية ففيها أمران؛ أمرٌ بالعتاب، وأمرٌ آخر بالعقاب، غير أن أوس بن حارثة يلفت نظر ولده مالك إلى ضرورة تقديم العتاب على العقاب، وذلك لما يعلم من طبائع الناس، ولما يرغب فيه من السؤدد لولده، إن أوسًا يعلم أن من الناس من يجدي معه العتاب، ويؤثر فيه القول اللين، فيؤوب إلى الرشد، ويثوب إلى الحق، ويرجع عن التمادي في الباطل، والتخبط في متاهات الضلال، ومن ثمّ فهو يوجه ولده إلى أن هذا وأمثاله من الأوابين تجب معاببتهم، ولا تجب مبادرتهم بالعقوبة؛ لأن التعامل معهم بالرفق واللين قد يؤدي إلى استجلاب مودتهم، ودرء عداوتهم، أما أولئك الذين لا يردعهم إلا الزجر والضرب فليس هناك من سبيل أمام مالك بعد معاببتهم سوى أن يعاملهم بما تجدر معاملتهم به من الشدة والحزم.

وهنا نسأل أنفسنا: ولم وجه أوس ولده مالكًا إلى معاببة هذا الصنف الثاني من الناس قبل مفاجأتهم بالعقوبة؟

والجواب: لأن أوس بن حارثة يدرك أن ولده مالكًا لا يزال في سنِّ

الشباب، وهي سنٌ تدفع صاحبها دائماً إلى الطيش والنزق، وتزين له التشفي والانتقام، ومن ثمَّ أراد أن ينبهه إلى قيمة الحلم، وذلك لما يعلم من رغبة القبيلة في أن يكون سيدها حليماً رقيقاً، ومن أنفتها من أن يلي أمرها طائشٌ نزق؛ لأنَّ الحليم الرفيق هو الذي يعمل على رَأب الصدع، ويسعى في إصلاح ذات البين، أما الطائش النزق فإنه غالباً ما يورد قومه موارد الهلاك والتلف، ومن ثمَّ كانت هذه الدعوة إلى الترفق والحلم في هذه الوصية الثانية من الأهمية بمكانٍ بعد الدعوة إلى التعزز والترفع في الوصية الأولى.

### الوصية الثالثة: والتجلد لا التبلىد.

وفي هذه الوصية أمرٌ ونهي، أمرٌ بالتجلد، ونهي عن التبلىد، والتجلد هو أن يتكلف الإنسان الجَلْدَ، أي القوة والشدة عندما تحل به النكبات والرزايا، حتى لا يشمت به شامت، وحتى لا يتنقصه عائب.

وتكمن قيمة هذه الوصية فيما تشي به من إدراك أوس بن حارثة لطبائع الرجال، إنها تدل على أنه يدرك أن الإنسان/ مالك الذي يتسمي إلى أصل كريم، ومحتدٍ طيب قد تخونه عواطفه أحياناً فيهتز ويرتعش، ويفزع ويجزع إذا ما أصابه مكروه في نفسه، أو في ذريته، أو في ماله، أو في أحد أقربائه، أو بني قومه، ومن ثمَّ فهو يلفت نظر ذلك الإنسان/ مالك إلى ضرورة التحلي بخلق التجلد حتى يكون قدوة وأسوة لغيره ممن حوله، وحتى يستطيع إحسان التصرف والتعامل مع ما تدهمه به الأيام من المصائب والشدائد بما يجدر بمثله من الثبات في المواقف، والحزم في القرارات، والعمل على دفع الملمات.

ويأتي النهي عن التبلىد في هذا السياق ليبدل على تمام وعي هذا الوالد الجليل، وعميق خبرته بالفوارق الدقيقة، والخيوط الرفيعة الفاصلة بين غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة.

إن أوساً يدعو ولده هاهنا إلى عدم الإفراط في التجلد؛ لأن الإفراط في

التجلد يؤدي إلى شعور الآخرين ببلادة الإنسان، وتحجر عواطفه، وانعدام إحساسه بما هم فيه من ضيق وكره.

وإنه لَحَرِيٌّ بِمَالِكٍ، وبمن في مثل مكانته ممن بَوَّأَهُ قَوْمُهُ مَقَاعِدَ السُّودِّدِ أَنْ يَلْتَفِتَ - كما التفت أوسٌ من قبل - إلى هذا الخيط الفاصل الدقيق بين إظهار التماسك والقدرة على التحمل، وإظهار اللامبالاة وانعدام التهيؤ عند استقبال النوائب، وتلقي حادثات الزمان.

الوصية الرابعة: واعلم أن القبر خير من الفقر.

وأوس بن حارثة يوصي ولده هاهنا بالحرص على الاحتراف والعمل؛ لأن الاحتراف والعمل هما السبيل التي تمكن الإنسان من الحصول على المال الذي يكفي به نفسه، ويعول به غيره ممن تلزمهم نفقته، ويدفع به المغارم والديات عندما تنوب النوائب، وتحل الشدائد والخطوب.

والملاحظ أنه بدأ هذه الوصية وما بعدها من وصايا بقوله: واعلم، ثم ساق الكلام بعدها في أسلوب فيه تفضيل شيء على شيء، وهو في هذه الوصية يفضل الموت على المعيشة الضنكي فيقول لولده: إن من الخير للإنسان أن يموت ويقبر على أن يجيا فقيراً معدماً يسأل هذا، ويسأل هذا، ويريق ماء وجهه من أجل الحصول من الآخرين على أكلة أو شربة.

وهنا نسأل أنفسنا: ولم بدأ أوس هذه الوصية، وما بعدها من وصايا بقوله 'واعلم'، ولم يبدأ ما سبق من وصايا بمثل هذا الخطاب الأمر بالعلم؟.

والجواب: لأنه هاهنا يفاضل بين أمرين لا يتفق معه في المفاضلة بينهما معظم الناس، فهناك من البشر من يحرص على الحياة بأي شكل، وبأية صورة كانت، فالمهم عنده أن يجيا، وليس يعنيه كيف يجيا، كاليهود الذين قال الله تعالى

فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

أما ما سبق من وصايا فإن غالبية الناس يتفقون مع أوس في منطقيتها وصوابها، فكلُّ أحدٍ من الناس يدرك بشاعة الدنيا، ويود في دخيلة نفسه أن لا يكون من أربابها، وكل أحد من الناس يعرف أهمية العتاب ويفضله على المؤاخذة والعقاب، وكل بني البشر يقدرون قيمة التجلد قدرها، ولا يرضون لأنفسهم أن يكونوا متبلدي الإحساس، منعدمي الشعور.

**الوصية الخامسة: وشر شارب المشتف، وأقبح طاعم المقتف.**

والمشتف هو الذي يشرب البقية المتبقية في الإناء، والمقتف هو الذي يلتهم الطعام بسرعة، وأنت ترى أن أوس بن حارثة يُعلم ولده آداب السفر، وإنه ليقول له: إن شر الشاربين هو ذلك الذي يشرب البقية المتبقية في الإناء، وإنما كان هذا شر شارب لأن صنيعه هذا يدل على ما يتصف به من الشراهة والدناءة والبخل، وسيد القوم لا ينبغي له أن يكون شرهاً، أو دنيئاً، أو بخيلاً؛ لأن الشراهة والدناءة تجعلانه صغيراً في أعين الناس، وتجعلانه قميئاً بانتقاصهم من قدره، ومخالفتهم لأمره ونهيه، ولأن البخل والحرص يجعلانه يغفل يده فلا يسطها بتحمل المغارم، ودفع الملمات عن أهله وعشيرته، ومن ثمَّ يسوء رأيهم فيه، ولا يفرغون إليه إن أعوزتهم الحاجة إلى الاستغاثة به، واللجوء إلى فناء داره.

ويقول أوس أيضاً: إن أقبح الطاعمين هو ذلك الذي يلتهم الطعام بسرعة دون أن يعطي نفسه فرصة مضغه جيداً قبل بلعه، وإنما كان هذا أقبح طاعم لسببين: الأول: أن صنيعه هذا ينذر بضياع صحته، ووهن قوته، وتصالح

(١) سورة البقرة: آية ٩٦.

الأمراض على جسده، وما على هذا ينبغي أن يكون سيد القوم، وإنما ينبغي أن يكون سيد القوم صحيحًا سليمًا معافى من العلل والأمراض، حتى يستطيع القيام بما يجب عليه القيام به من شؤون الزعامة والملك.

هذا عن السبب الأول، أما السبب الآخر الذي يجعل الأكل بسرعة أقبح طاعم فهو يرجع في تصوري إلى بشاعة منظر الأكل بهذه الطريقة في أعين من يشاركونه الطعام، ولأن سيد القوم كثيرًا ما تلجئه الضرورة إلى أن يجلس مع كبار رجالات قومه على مواعدهم، فإن أوسًا يلفت نظر ولده إلى ضرورة الأكل بتؤدة وتمهّل حتى يكتسب حسن السيرة عند الناس بعد انفضاض المجلس؛ لأن الناس بعد انتهاء الطعام، وخروجهم للروح إلى منازلهم يأخذ بعضهم في الحديث إلى بعض، ويسترجعون ما كان من أمر المائدة، وما كان عليها من أطيب الطعام، وما كان عليه المدعوون إليها من التوقر والتصون والتعفف، أو الشراة والنزق والطيش في الآنية والصحاف، وهم في استرجاعهم كل هذا تثنى ألسنتهم على أخلاق المتعفين المتوقرين، وتلوك أعراض الطائشين غير المتعفين.

الوصية السادسة: "وذهب البصر خير من كثير من النظر، ومن كرم الكريم الدفاع عن الحریم".

وأوس يبيّن لولده هاهنا آداب التعامل مع المرأة، ويُجملها في أمرين: أحدهما سلبي، والآخر إيجابي، أما السلبي فيتمثل في غض البصر، وعدم إفحاش النظر إلى المرأة، وأما الإيجابي فيتمثل في الدفاع عنها، والذود عن حياضها، وفي هذه الوصية ما يدل على وعي أوس بما يجب أن يكون عليه سيد القوم من العفة والمروءة، إن المرأة تمثل في المجتمع - أي مجتمع - شطره، وقد تدفعها ظروف الحياة إلى اللجوء إلى سيد قومها تستصرخه، وتستغيث به، فإذا ما كان سيد القوم طاهر الذليل فإن المرأة تذهب إليه وتقص عليه مظلمتها وهي آمنة

مطمئنة على عرضها وشرفها وسمعتها، أما إذا كان سيد القوم غير طاهر الذليل، معروفًا بالانحراف والانفلات فإن المرأة حينئذ تؤثر أن تقيم على الخسف، ترضى بالضيم من زوجها أو أخيها، ولا تقبل أن تذهب إلى زعيم قومها شاكية مستصرخة، ومن ثمّ يشيع الظلم، ويتنفي العدل، ويفقد المجتمع أمنه وسلامه، وذلك كله يؤدي إلى تفسخه وانهلاله، وانفراط العقد الذي ينتظم أبناءه فيتسلط بعضه على بعض، ثم يتسلطون بعد ذلك على حاكمهم فتسقط مهابته، وتهوي مكانته.

الوصية السابعة: "ومن قلّ ذلّ، ومن أمر فلّ".

وأوس بن حارثة في هذه الوصية يُعلم ولده آداب السياسة، ذلك أن زعامة الناس وسياستهم تقوم على مبدأ مهم، ألا وهو كثرة الأتباع والأشباع، فإن كان الطامح إلى الزعامة كثير الأتباع والأشباع غلبَ وقهر، وإن كان قليل الأتباع والأشباع ذل وانكسر بتسلط الناس عليه، ومخالفتهم لأمره ونهيه.

الوصية الثامنة: والدهر يومان، فيومٌ لك، ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر، فكلاهما سينحسر، فإنما تعزم من ترى، ويعزك من لا ترى".

إن أوس بن حارثة يبين لولده هاهنا حقيقة الدنيا، وطبيعة الأيام، ويقول له إن الأيام لا تجري على وتيرة واحدة من العسر أو اليسر، وإنما تأتي المرء بما يسره أحياناً، وبما يسوّه أحياناً أخرى، وليست العبرة بما تأتي به الأيام من الضيق والشدة، والرخاء والسعة، وإنما العبرة في كيفية تصرف الإنسان إذا أقبلت عليه الحياة، وإذا أدبرت عنه، والإنسان الحكيم الذي يستحق السيادة والسؤدد هو الذي يستقبل إقبال الزمان عليه بعدم البطر، وقلة الإسراف في المرح واللهو، والكف عن المغالاة في التمتع بطيبات الحياة من المأكل والمشرب،



والإكثار من التسريِّ بالإماء، والتلهيِّ عن هذا كله بما يجب أن يُعمل فيه فكره من تدبير أمور المعاش، وسياسة شأن الرعية.

والإنسان الحكيم الذي يستحق السيادة والسؤدد هو أيضًا ذلك الإنسان الذي يصبر على لأواء الحياة، ونوائب الدهر، ويستقبلها غير جازع منها، ولا متبرم بها، ولا ضجر؛ لما استقر في يقينه من أن دوام الحال من المحال.

ويلفت أوس بن حارثة في هذه الوصية نظر ولده إلى أمر مهم، وهو أن الإنسان قد يكتسب احترام الآخرين لوجوده بين ظهرانيهم خوفًا منه، أو طمعًا فيه، ولكنه إذا مات، ووَسُد الثرى ذهب طمع الناس فيه، وراح خوفهم منه، ومن ثم يصبح ملكًا للتاريخ الإنساني يقول فيه كلمته، وتروي الأجيال سيرته وهي بآمن من غضبه، وبمنجاة من بطشه، ومن ثم يجب أن يعمل في حياته عملاً يجعله أهلاً لحسن الأحدوثة بين الناس بعد رحيله، ويجعله جديرًا بإعزاز من لم يروه من أبناء الأزمان التالية.

الوصية التاسعة: "والموت المصيبة خير من أن يقال لك: هببت، وكيف بالسلامة لمن ليست له إقامة؟".

وأوس بن حارثة يوصي ولده هاهنا بعدم الحرص على الدنيا بأكثر من اللازم؛ لأنها ليست دار إقامة، والإنسان فيها هدفٌ لسهام المنية التي لا بد أن تصيبه يوماً ما، ويُزهده في أن يرغب في طول العمر؛ لأن طول العمر يؤدي بالمرء إلى الانقطاع عن الأنداد والأتراب، ويجعله غير قادر على التواصل مع الأجيال الجديدة، وحينئذ يصبح هدفاً لانتقاد حفدته، وضيقهم به، وتبرمهم منه، وقد تؤذي نفسه ألفاظٌ تخرج من أفواههم ترميه بالخرف والعجز، ومن ثمَّ يصبح الموت الذي يفوت على الإنسان بعض متاع الحياة خير كما قال أوس بن حارثة حتى لا يشعر المرء بأنه قد صار عالة على غيره، أو بأنه قد أصبح من سقط المتاع.

وشرٌّ من المصيبة سوء الخلف. وهكذا في ختام هذه الوصية الجامعة يلفت أوس الأذهان إلى أهمية الاعتداد بالتنشئة الاجتماعية للأبناء والأحفاد حتى يشبوا أختياراً صالحين، ويقول للمالك إن الإنسان بمقدوره أن يحتمل المصيبة التي تحل به، لكنه لا يستطيع أن يتحمل ولدًا عاقًا، سيئ الأخلاق، مرذول الخلال، مذموم السجايا.

كانت تلك هي الوصايا التي قدمها أوس بن حارثة لولده مالك، ولعل القارئ يشاركني الرأي في أنها تمثل أصدق تمثيل منظومة القيم الإيجابية التي كان كبار رجالات المجتمع العربي في عصر الجاهلية ينشئون عليها أبناءهم، ولعل القارئ يتفق معي أيضًا فيما أذهب إليه من أن هذا النص النثري الجاهلي يصح أن يقف شاهدًا ودليلاً على أن الأمة العربية في جاهليتها قد كانت خير أمم الأرض طراً<sup>(١)</sup>، وهو الأمر الذي من أجله كان ابتعث النبي الخاتم محمد بن عبدالله منهم وفيهم، صلوات الله تعالى وسلامه عليه.



(١) ليس هذا النص وحده هو الذي يدل على ما أوقن، فهناك نصوص نثرية جاهلية أخرى تظاهاه فيما يدل عليه، تمتلئ بها مصادر الأدب وسجلات التاريخ، وأسأل المولى - جل شأنه - أن يتفضل ويعينني على قراءتها، وتحليلها، وإخراجها للناس.

-٣-

## في الفخر الذاتي

لأبي العلاء المعري (\*)

## النص

- |   |   |  |
|---|---|--|
| ١ | أَرَى العَنْقَاءَ تُكَبِّرُ أَنْ تُصَادَا | فَعَانِدُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا   |
| ٢ | وَمَا نَهْنَهْتُ فِي طَلَبِ وَلَكِنْ      | هِيَ الأَيَّامُ لَا تُعْطِي قِيَادَا   |
| ٣ | فَلَا تُلْمِ السُّوَابِقَ وَالْمَطَّايَا  | إِذَا غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ حَادَا   |
| ٤ | لَعَلَّكَ أَنْ تُشْنُ بِهَا مُغَارَا      | فَتُنْجِحُ أَوْ تَجْشُمَهَا طِرَادَا   |
| ٥ | مِقَارِعَةً أَحَجَّتْهَا العَوَالِي       | مَجْتَبَةً نَوَاطِرَهَا الرِّقَادَا    |
| ٦ | تُلُومٌ عَلَى تَبْلُدِهَا قُلُوبَا        | تُكَابِدُ مِنْ مَعِيشَتِهَا جِهَادَا   |
| ٧ | إِذَا مَا التَّارُ لَمْ تُطْعَمْ ضِرَامَا | فَأَوْشِكُ أَنْ تُمُرَّ بِهَا رَمَادَا |
| ٨ | فَظُنُّ بِسَائِرِ الإِخْوَانِ شَرًّا      | وَلَا تُأْمَنُ عَلَى سِرِّ فُؤَادَا    |
| ٩ | فَلَوْ خَبَرْتَهُمُ الجُوزَاءُ خُبْرِي    | لَمَا طَلَعْتَ مَخَافَةَ أَنْ تُكَادَا |

(\*) راجع في التعريف بأبي العلاء:

- ١- كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء بإشراف د. طه حسين، طبع هيئة الكتاب.
- ٢- أبو العلاء المعري د. بنت الشاطع، سلسلة أعلام العرب.
- ٣- ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين، نشر دار المعارف.
- ٤- صوت أبي العلاء للدكتور طه حسين، سلسلة اقرأ.
- ٥- مع أبي العلاء في سجنه للدكتور طه حسين، نشر دار المعارف.
- ٦- دار السلام في حياة أبي العلاء للدكتورة بنت الشاطع، نشر بغداد.
- ٧- شروح سقط الزند للخوارزمي والتبريزي، وابن السيد البطليوسي، خمسة مجلدات، طبع دار الكتب المصرية.

## القراءة

(١)

أَرَى العَنْقَاءَ تُكْبِرُ أَنْ تُصَادَا      فَعَانِذُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا  
وَمَا نَهْنَهْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ      هِيَ الأَيَّامُ لَا تُعْطِي قِيَادَا  
فَلَا تُلْمِ السُّوَابِقَ وَالْمَطَايَا      إِذَا غَرَضٌ مِنَ الأَغْرَاضِ حَادَا  
لَعَلَّكَ أَنْ تُشْنُ بِهَا مُغَارَاً      فَتُنْجِحِ أَوْ تَجْشُمَهَا طِرَادَا  
مِقَارَعَةً أَحَجَّتْهَا العَوَالِي      مَجْبُوبَةً نَوَاطِرَهَا الرِّقَادَا

من أول بيت من أبيات القصيدة نجد الأنا متضخمة عند أبي العلاء، ونجده يشعر بنفسه شعوراً زائداً، ويدرك قيمة ما حصل في حياته من تجارب مع بني البشر، لذا رأيناه يبدأ القصيدة ببيت من الأبيات التي تنبع عن حكمته وخبرته:

أَرَى العَنْقَاءَ تُكْبِرُ أَنْ تُصَادَا      فَعَانِذُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادَا

ولاحظ دلالة الفعل (أرى)، وهو الكفيف الذي لا يبصر، إن الرؤية - هنا - أشمل من الرؤية البصرية، إنها التجربة الواسعة، والخبرة الحياتية العريضة يصوغها في ثوب شعري فلسفي، فهو يرى أن العنقاء تُكْبِرُ أَنْ تُصَادَا، والعنقاء طائر أسطوري لا وجود له، كانت العرب تزعم إنها تُعْنِقُ بصيدها فلا يُقدر عليه<sup>(١)</sup> ومن ثم فهي في مخيلتهم مثال الترفع والاستعلاء، والقوة والبطش في آن واحد معاً، فهي قوية وباطشة تستطيع اختطاف أي شيء حتى الأناسي<sup>(٢)</sup>، ثم هي مترفعة ومتأبية لا يستطيع الإنسان أن يسترد منها شيئاً اختطفته فضلاً عن

(١) البطليوسي: شروح سقط الزيد ٥٥٣/٢.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

أن يحاول صيدها والانتفاع بها، ولهذا ضربوا بها المثل للشيء العصي الممتنع<sup>(١)</sup>، واستخدمها أبو العلاء في مطلع هذا النص بالمعنى نفسه الذي تعارف عليه العرب؛ حيث جعلها رمزاً للقوة القاهرة، أو الأمر الذي لا طاقة للإنسان بدفعه، ولا قدرة له على مجابته، وهو بهذا يوظف ما تنهى إلى سمعه من أساطير العرب في شعره توظيفاً يخدم الفكرة التي يريد أن يعبر عنها، أو الرسالة التي يريد أن يوجهها إلى المجتمع، وآية ذلك أنه اتجه في الشطرة الثانية من البيت نفسه إلى المخاطب موجهاً له الأمر على سبيل النصيح والإرشاد قائلاً: "فَعَانِدُ مَنْ تُطِيقُ لَهُ عِنَادًا".

ويأتي فعل الأمر (عاند) في هذا الشطر من البيت لينفي نفيًا تامًا ما قد فهمته الدكتورة بنت الشاطي من أن أبا العلاء قد بدأ قصيدته بالاستسلام المر<sup>(٢)</sup>، ذلك أن الاستسلام المر في رأينا يعني أن يتنازل الإنسان لخصمه عن كل شيء، وأن يكف عن بذل أية مقاومة، وأن يقف مكتوف الأيدي أمام تصاريف الأقدار، وما إلى هذا دعا أبو العلاء، وإنما دعا إلى العناد الذي هو الإصرار على الرأي، ومخالفة الآخرين، ومحاولة تغيير الواقع المر، ولسنا بحيث ننتظر من شاعر كأبي العلاء أن يدعو إلى معاندة القدر، فما إلى هذا من سبيل، يدرك هذا أبو العلاء، ويدركه كلُّ أحد من الناس، ولو دعا الشاعر إليه لما كان لدعوته وجه من المنطق، أو حظ من الصواب، لكن الذي أكسب دعوته قيمتها أنها جاءت منطقية إلى حد بعيد، عاند، ولكن من تطيق له عنادا، وهنا يأتي التعبير بالفعل (تطيق) دالاً على رغبة شاعرنا في أن يحتفظ الإنسان لنفسه بشموخها وشممها، إن أبا العلاء لم يقل فعاند من تستطيع له عناداً وإنما قال مَنْ تطيق له عناداً، والفعل أطاق له دلالة في اللغة، وهي تحمل الأمر بمشقة بالغة، وعسر شديد،

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) بنت الشاطي: أبو العلاء المعري ص ٦٢.

ومعنى هذا أن الشاعر يريد من الإنسان أن يحقق لونا من التوازن بحيث يكفكف من غلواء نفسه حتى لا يذهب به الغرور مذاهب الغواية والضلال فيعاند من لا يقوى على معاندته، وفي الوقت ذاته يحتفظ لنفسه بعزتها وكرامتها، إنه لا يريد مستسلماً دائماً، ولا معانداً دائماً، وإنما يريد متطامناً حين يحسن التطامن، ومعارضاً أو معانداً حين تحسن المعارضة أو المعاندة، وفي هذا البيت من البديع لونا، أحدهما التصريح في قوله: تصادا، وعنادا، والآخر التجنيس في قوله: فعاند، وعنادا. ثم يأتي البيت الثاني من أبيات النص:

وَمَا نَهْنَهْتُ فِي طَلْبِ وَلَكِنْ هِيَ الْأَيَّامُ لَا تُعْطِي قِيَادًا

وتسأل نفسك عن الرابطة التي تربطه بالبيت الأول، وسرعان ما تتبين الوشيجة القوية بين البيتين لا سيما إذا لاحظت مقدرة الشاعر الفائقة على مزج ما هو ذاتي بما هو غيري، ففي البيت الأول قدم لنا رؤيته الذاتية في الحياة والقدر في الشطرة الأولى، ثم اتجه بالكلام إلى المخاطب ناصحاً وموجهاً في الشطرة الثانية، ثم ها هو ذا في البيت الثاني من أبيات النص يقدم لنا وصفاً ذاتياً لما جرى منه مع الزمان فيقول "وَمَا نَهْنَهْتُ فِي طَلْبِ" أي وما قصرت في سعي، ولاحظ دلالة التعبير بالفعل (نهنت) فهو يتكون من حرفين يتكرران على التوالي هما النون، والهاء، وفي هذا دلالة على أن أبا العلاء قد أفرغ وسعه في سبيل تحقيق ما يهدف إليه من معالي الأمور، فلقد كان يسعى المرة بعد المرة ليصل إلى ما يرجوه لنفسه من الأيد والمجد، ولاحظ ما تدل عليه الهاء الساكنة في هذا الفعل أيضاً من انقطاع النفس الذي يوازي حتماً كلال الروح والجسد في سبيل تحقيق غاية سؤله، والوصول إلى منتهى أمله<sup>(١)</sup>، ومعنى هذا أن أبا العلاء

(١) عبّر أبو العلاء عن هذا المعنى في غير قسيده من قصائد السقط كما في قوله:

وأغدو ولو أن الصباح صوارم وأسري ولو أن الظلام حجانل

وقد شرحه البطليوسي فقال: يقول لا يشيني شيء عن مطلب أرومه وأحاولة شروح سقط الزند

قد نفى التقصير عن نفسه، فهل أدرك ما يريد؟ ويأتي الجواب على هذا السؤال بالنفي، تفهم هذا من قوله بعد ذلك "ولكن هي الأيام لا تعطي قيادا لأن التعبير بالحرف (لكن) يفيد الاستدراك الذي هو دفع توهم ناشئ من كلام سابق<sup>(١)</sup>، ذلك أن نفيه التقصير عن نفسه في قوله "وما نهنت في طلب يوحى بأنه قد حصل على ما يريد، فأراد أبو العلاء أن يدفع هذا الفهم، وأن يثبت نقيضه، فأتى بالحرف لكن".

وتسأل نفسك عن السر الكامن وراء عدم إدراك الشاعر لمبتغاه لتجد الجواب في قوله: **هِيَ الْأَيَّامُ لَا تُعْطِي قِيَادًا**، ولاحظ دالة التعبير - هاهنا - بالجملة الاسمية، وكيف تناسب تناسباً تاماً مع المعنى الذي يريد أبو العلاء التعبير عنه، إن الشاعر لا يريد أن يصف الأيام بالقسوة، لكنه يريد أن يقول إن شأنها هو القسوة، هكذا كانت في الأحقاب الماضية، وها هي ذي - في زماننا - على ما هي عليه من العناد والتمنع، وستظل على حالها هذه حتى آخر الدهر، ومعنى هذا أن شأنها ثابت، وأن طبعها لا يتغير، وكل هذه المعاني قد أوحى بها اسمية الجملة؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الثبوت والاستقرار.

نستطيع أن نقول إذن إن أبا العلاء قد أرجع إخفاقه في الوصول إلى مبتغاه إلى عوامل خارجية عنه تتمثل في مغالبة الحياة له، وهو يرجع - أيضاً - إخفاق أي مجتهد في الوصول إلى ما يريد إلى هذا السبب الخارجي ذاته، ولهذا توجه بالحديث إلى المخاطب في البيت الثالث قائلاً له:

**فَلَا تُلِمُّ السُّوَابِقَ وَالْمَطَايَا إِذَا غَرَضٌ مِنَ الْأَغْرَاضِ حَادَا**

وها هو ذا أبو العلاء قد عاد هذه المرة لينهى مخاطبه عن لوم السوابق

(١) ينظر: كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢/٢٧٩، وابن هشام في مغنى اللبيب بهامش

حاشية الدسوقي ١/٢٩٤.

والمطايا، والسوابق هي الخيول، والمطايا هي الإبل، واللوم هو التوبيخ والتفريع على التقصير والتفريط في الأخذ بالأسباب المؤدية إلى النجاح، والسوابق والمطايا في هذا البيت ليست مقصودة بذاتها؛ فالسوابق كانت عدة الحرب في الزمن القديم، والمطايا كانت سفن الصحراء التي يجتاز العرب عليها فيافهم، وكأني بأبي العلاء يريد أن يشير إلى أن الحياة أشبه ما تكون بمعركة حامية الوطيس يحتاج فيها الإنسان إلى كل ما معه من أسلحة ليحرز النصر، أو كأنه يريد أن يقول إن الحياة أشبه ما تكون برحلة سفر بعيدة الشقّة يحتاج فيها الإنسان أن يكون رفيقاً بدابته أو ناقته؛ حتى يجتاز رحلته في أمان، وحتى لا يكون كالنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى.

وعلى هذا فالسوابق والمطايا ما هي إلا رموز للوسائل والأدوات، والمواهب والملكات التي يغالب بها الإنسان أهوال الزمان وشدائده، ومكائد الخلان وشرورهم، والشاعر -هنا- ينهى مخاطبه عن أن يعود باللائمة على سوابقه إذا لم يتتصر في معركة من معارك الحياة، كما ينهيه عن أن يعود باللائمة على خيوله إذا لم تستطع أن تبلغه ما يريد، وكأني به يقول له: كن واثقاً بنفسك، وبوسائلك في تحقيق الفوز والظفر فما كان عدم المقدرة على تحصيل المراد بسبب الوسائل والأدوات، وإنما كان سببه معاندة الحياة، ومغالبة القدر للإنسان.

ولاحظ دلالة التعبير بـ(إذا) التي تحمل معنى الفجائية، والمباغته، والمهجوم<sup>(١)</sup>، ويكون ما بعدها أمراً غير متوقع الحدوث في الغالب، ولاحظ دلالة تنكير لفظة (غرض) إذ توحي بالتصغير والتحقير اللذين يوجبان عدم التوقف بكاءً على الضائع، وتحسراً على مُضيِّ فرصته؛ إذ من المفروض ألا تتعلق همة

(١) حاشية الدسوقي على معنى اللبيب ٩٣/١.



الإنسان في هذه الحياة بغرض واحدٍ مهما كانت درجته من السمو والرفعة، بل يجب أن يكون كثير الطموحات والأغراض، يحقق منها ما يحققه، ثم يتجاوزه إلى تحقيق غيره مما يرجوه ويتعلق به من الآمال والأحلام، وهذا ما أكده - أيضاً - استخدام لفظة "من" الدالة على التبعض في البيت.

لعلك أن تشنُّ بها مغاراً      فتنجح أو تجشمها طرادا  
مقارعةً أحجتها العوالي      مجنبية نواظرها الرقادا

ولقد تحدث صاحبنا في هذين البيتين عن السبب الذي من أجله كان النهي عن لوم السوابق والمطايا في البيت السابق فقال: لعل هذه السوابق والمطايا التي تعودت أن تنحي عليها باللائمة، لعلها تكون سبباً من أسباب نصرك وظفرك في قابل الأيام حين يحالفك التوفيق، ويوافقك القدر، فتشن بها غارة ناجحة على قوم من أعدائك فتصيب منهم ما تريد، أو تدفع بها بأس قوم يريدون الإغارة عليك فطردهم، وتجنب نفسك وقومك شرورهم.

ولقد شغل الخوارزمي نفسه في شرحه على هذين البيتين بما فيهما من مسائل نحوية، حيث توقف عند قول أبي العلاء لعلك أن تشنُّ إذ لاحظ أنه عامل (لعل) معاملة (عسى) لأنه قد جعل خبرها الفعل المضارع المقرون بأن كخبر عسى<sup>(١)</sup>، كما أدرك بقراءته الواعية لنصوص سقط الزند أن الشاعر أحياناً يُجري (عسى) مجرى لعل<sup>(٢)</sup>.

وشغل نفسه أيضاً بالأوجه المختلفة التي يمكن أن تعرب بها الشطرة الأولى من البيت الثاني "مقارعة أحجتها العوالي" فقال ويروي أحجتها بالرفع وهو فاعل مقارعة، والعوالي في مقام النصب على أنه مفعولها، ويروي أحجتها بالنصب

(١) شروح سقط الزند ٢/٥٥٧.

(٢) السابق نفسه ٢/٥٥٧.

وهو مفعول مقارعة، والعوالي فى مقام الرفع بأنه فاعلها. وفاته أن ينبه على ما نبه عليه التبريزى من وقوع أبى العلاء المعري فى الضرورة فى حالة إعراب الأحجة فاعلاً، والعوالي مفعولاً<sup>(١)</sup>، ولم يشر أى منهما إلى الأثر الذى يحدثه هذان الوجهان من الإعراب فى معنى البيت.

وفى رأينا أن العلاقة بين هذين البيتين ، والبيت السابق عليهما علاقة تعليلية فالشاعر ينهى مخاطبه عن أن يعود باللائمة على سوابقه وخيوله إذا لم يستطع أن يحقق غرضاً من أغراضه، وذلك استبقاءً لها، حتى تظل معاوناً له على ما يريد من جلب الخير لنفسه، أو دفع الشر عنها، ولكأنى بأبى العلاء يريد أن يقول: أن الإنسان لا يزال بخير مادام واثقاً من مواهبه وملكاته لأن هذه المواهب والملكات سكتون بمثابة الحافز أو المثير الداخلى الذى يدفع صاحبه دفعاً إلى النهوض من كبوته، وآية ذلك أنه بين حال السوابق والمطايا فقال:

مقارعةً أحجَّتْهَا الْعَوَالِي مُجْتَبَةً نَوَاطِرَهَا الرَّقَادَا

والقرع هو الضرب، والأحجة أوائل الجباه من الخيول والإبل، والعوالي جمع عالية، وهى أعلى القناة، ولعلك تلاحظ أنه جعل أحجة السوابق والمطايا هى التى تقرع العوالي، ولم يجعل قرعها للإنسان الذى يسير السوابق والمطايا ويركبها، ويضرب من فوقها بسيفه، أو بسهمه، أو برمح، وهذا فيه ما فيه من الدلالة على إصرار السوابق والمطايا على الفوز والغلبة، أو جعل العوالي هى التى تقرع أحجة الخيول والإبل، وهذا فيه ما فيه من الدلالة على شدة سرعة هذه الخيول والمطايا، وأنها مندفعة نحو غايتها لا تلوي على شىء، ولا تعباً بما قد يقابلها من مخاطر وأهوال، أو بما قد يصيبها من الأذى، أو الإرهاق والتعب، وذلك لشدة صلابة عظام حواجبها.

(١) السابق نفسه ٥٥٧/٢ - ٥٥٨.

وعلى هذا فالروايتان متساويتان - كما نرى - في الدلالة على المعنى الذي يقصده أبو العلاء وليست إحداهما بأدل عليه من الأخرى كما زعم الخوارزمي في شرحه للبيت وتعليقه عليه.

ولعل هذا التفسير يؤدي بنا إلى أن نزعم أن أبا العلاء لم يقع في الضرورة وقوع مضطر ألجأه الوزن إلى ارتكاب الخطأ، بل وقع فيها وقوعاً اختيارياً مقصوداً.

وقد أدى صوت حرف القاف في قوله مقارعة<sup>(١)</sup> في الشطرة الأولى من هذا البيت دوراً مهماً في نقل الإحساس بهذا المعنى إلى القارئ أو المتلقي، فهو صوت من الأصوات الجهرية، وإلى جوار ذلك له مجموعة أخرى من الصفات منها الشدة، والاستعلاء، والانفتاح، والإصمات<sup>(١)</sup> وكلها تناسب الموقع والمقام، أو المعنى الشعري للبيت، فإذا انضمت إلى هذه الوظائف الصوتية وظيفة بنية الكلمة الصرفية أدرك المتلقي أن هناك - حقيقة - حرباً، أو صداماً شديداً بين طرفين متنافسين: الطرف الأول وتمثله أحجة الخيول والمطايا، والطرف الثاني وتمثله العوالي، وكل طرف من هذين الطرفين يحاول أن يهزم الآخر، ويفل قوته. وأدى التنوين في قوله مقارعة<sup>(١)</sup> في أول الشطرة الأولى من البيت، وفي قوله مجنبة<sup>(١)</sup> في أول الشطرة الثانية منه إلى إعطاء جرس موسيقي للكلام يماثل دقات الطبول التي كان القدماء يبدؤون بها إيذاناً أو إشعاراً ببدء المعركة.

ويأتي الشطر الثاني من البيت أكثر دلالة على تحول المواهب والملكات الذاتيه للفرد إلى مثير داخلي يُحَفِّزُهُ على مواصلة العمل لبلوغ الأمل إذ يقول:

مجنبة نواظرها الرقادا

ومجنبة اسم فاعل يعمل عمل فعله، وفاعله ضمير مستتر جوازاً تقديره هي،

(١) نهاية القول المفيد ص ٧٠.

يعود على السوابق والمطايا المذكورة في البيت السابق، ونواظرها مفعول به أول، والرقادا مفعول به ثان، والتجنيب هو الإبعاد والعزل، يريد أبو العلاء أن يشير إلى أن هذه السوابق والمطايا تمنع عيونها من الإخلاد إلى النوم طلباً للراحة والهدوء حتى يحقق صاحبها ما يصبو إليه، أو حتى ينجح فيما سبق أن أخفق فيه من أهداف أو طموحات .

ومن الغريب الذي لا يتقضى منه العجب أن يستدل الخوارزمي بهذا البيت، وبالبيت الذي قبله على أن غاية أبي العلاء من الأيام هي الملك قائلًا: ألا ترى كيف وصفه عند الغارة والطراد بدرك المنى ونيل المراد.<sup>(١)</sup>

والسؤال الذي لم يسأله الخوارزمي لنفسه هو مُلك ماذا؟ أيقصد أن أبا العلاء كان يريد أن يمتلك معرفة النعمان؟ ومتى كانت معرفة النعمان مملكة أو إمارة؟ أم يقصد أن شاعرنا كان يريد أن يمتلك حلبا التي سيطر عليها موالي الحمدانيين الذين كانوا يستجدون المعونة من الروم من جهة، وكانت تظاهروهم الدولة الفاطمية في مصر من جهة أخرى؟<sup>(٢)</sup>

ولو سأل الخوارزمي ما ورد إليه من أخبار أبي العلاء، ومن أخبار أهله وأسرته، لعلم أنهم كانوا أبعد ما يكون عن الملك، وأقرب ما يكون إلى العلم والفتيا، والأدب والشعر، فلقد كان جد جده سليمان ابن أحمد بن سليمان قاضيًا، وكان عبدالله بن سليمان بن محمد - وهو والد شاعرنا - كان قاضيًا وشاعرًا، ولشاعرنا من أبيه أخوان شاعران هما أبو المجد محمد بن عبدالله، وأبو الميثم عبدالواحد بن عبدالله<sup>(٣)</sup>، وقد افتخر بهم جميعًا أبو العلاء في مثل قوله ردًا

(١) شروح سقط الزند ٢/ ٥٥٥ .

(٢) أبو العلاء المعري، بنت الشاطئ ص ٨٧ .

(٣) إرشاد الريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، نقلًا عن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٦٨ .

على بعض حُسَّاده<sup>(١)</sup>:

بأي لسان ذامني متجاهلٌ      عليّ وخفقُ الريح في ثناء  
ومذ قال إن ابن اللثيمة شاعرٌ      ذوو الجهل مات الشعر والشعراءُ  
تساوِرُ فحلَّ الشعر أو لئتَ غايه      سفاهاً وأنت الناقاة العشراءُ  
أتمشي القوافي تحت غير لوائنا      ولحن على قوالها أمراءُ

كما كان خاله أبو القاسم علي بن محمد بن سبيكة شاعراً إذ نفهم ذلك من قول المعري له<sup>(٢)</sup>:

نراسمُك التَّصُحَّحَ في القوافي      وغيرك مَنْ نعلَّمهُ السُّدادا  
فإن تقبلُ فذاك هوى أناسٍ      وإن ترذُذُ فلم نالُ اجتهادا

ولو دقق الخوارزمي النظر فيما وصل إليه من روايات تتعلق بصفات أبي العلاء الخَلْقِيَّةِ والنفسية والاجتماعية لعلم أن مثله لا يصلح أن يكون ملكاً، أو أميراً، أو وزيراً لما كان عليه من دمامة وتجدرٌ ونحافة، وكانت إحدى عينيه نادرة، والأخرى غائرة<sup>(٣)</sup>، ولعلم - أيضاً - أنه لم يكن من ذوي الأحوال في الدنيا، وإنما خلف له وقف يشاركه فيه غيره من قومه، وكانت له نفسٌ تشرف عن تحمل المنز، فمشى حاله على قدر الموجود، فاقتضى ذلك خشن الملابس والمأكُل، والزهد في ملاذ الدنيا<sup>(٤)</sup>، ولعلم أن أبا العلاء قد يم وجهه شطر بغداد لتحقيق هدفين اثنين: الأول منهما نص عليه بنفسه حين قال في جملة رسالة بعث بها إلى أهل بلدته معرفة النعمان في إثر خروجه من بغداد وأحلف ما سافرت

(١) شروح سقط الزند ١/٣٩٣ وما بعدها.

(٢) شروح سقط الزند ٢/٨٠٨، ٨٠٩.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان، نقلاً عن تعريف القدماء ص ١٨٣.

(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي نقلاً عن تعريف القدماء ص ٣١.

أستكثر من النشب، ولا أتكثر بلقاء الرجال، ولكن آثرت الإقامة بدار العلم<sup>(١)</sup>،  
والهدف الآخر من هدي رحلته البغدادية أنبأنا عنه الرواة حين زعموا أنه قصد  
من أكابرها الإعانة بجاههم على بلوغ أغراضه من كفَّ مَنْ تطرق أذاه إليه في  
أمر وقفه<sup>(٢)</sup>.

وفي يقيني - بعد هذا الذي قدمناه - أن الخوارزمي قد أبعده المرمى حين  
ادعى أن مطلوب صاحبتنا من الأيام هو الملك.

ولا يصح عندنا أيضاً أن يكون مطلوبه هو الغنى لما ورد من الروايات التي  
تدل على شدة حياته، وعفة نفسه، وقناعته<sup>(٣)</sup>.

وأغلب الظن أنه كان يعبر في هذا النص، وغيره من نصوص ديوانه سقط  
الزند عما يشعر به من حزن عميق، وأسى دفين على عدم تحقق أمنيته التي كان  
يحمل بها في هذه المرحلة من مراحل حياته، وهي مرحلة الشباب.

والسؤال الذي يطرح نفسه هاهنا: وما هي هذه الأمنية؟ لكن الإجابة  
القاطعة تكاد تكون مستحيلة، وأتصور أن ربما كانت هذه الأمنية هي تعلقه  
النفسي - على الأقل - بالرغبة في شفاء عينيه مما أصابهما من العمى، أو قد  
تكون هذه الأمنية هي أن لا يحول العمى بينه وبين المكانة اللائقة به التي يجب أن  
يتبوأها في المجتمع الحلبي، أو قد تكون أمنيته هي أن تصفو الحياة في حلب مما  
يكدرها من عدم خلوصها لأهلها نظراً للفساد السياسي الذي أحدثته الزمرة  
الحاكمة لها، أو قل المتسلطة عليها في هذه الفترة أو المرحلة من حياة أبي العلاء.

(١) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، نقلاً عن تعريف القدماء ص ٩٢.

(٢) إنباه الرواة للقطبي نقلاً عن تعريف القدماء ص ٣١.

(٣) راجع في ذلك الفصل الذي كتبه في ذلك ابن العديم، وهو آخر فصول الإنصاف والتحري في  
دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري. انظره في تعريف القدماء ص ٥٧٧.

لكن الأيام لم تعنه على تحقيق ما أراد، فلم تبرأ عينه مما أصابها، ووقف في مواجهته الشباب الحلييون يناصبونه العداة حسداً من عند أنفسهم، ويغمطونه حقه اللائق بعبقريته وموهبته<sup>(١)</sup>، ولم تصف الحياة في حلب، ولم تعد كما كانت عليه في عهد سيف الدولة الحمداني، وربما كان هذا كله أو بعضه من الأسباب الكامنة وراء ذهابه إلى بغداد، دار العلم على حدّ قوله، وتصريحه برغبته في الإقامة بها لعله - إلى جوار الاستزادة من العلم - يجد فيها من التقدير ما افتقده بين أهله وإخوانه، ويرى فيها من صفو الحياة ما يلهيه أو يسليه عن تكدرها في حلب.

بقي أن نشير إلى المخاطب الذي توجه إليه الشاعر أمراً، وناهيًا ومتحدثًا في هذه الأبيات الخمسة، وفي غيرها مما سيأتي من بقية أبيات النص، وأغلب الظن أن أبا العلاء كان يتحدث بهذا الكلام إلى نفسه، وبالتالي يكون الكلام كله من باب "عتاب المرء نفسه" كما يقول البلاغيون، وكان هناك صراعًا داخليًا يعتمل في صدر أبي العلاء، أو كأن أبا العلاء كان واقعًا تحت تأثير عاملين ضاغطين أحدهما حافظ ومثير يدفعه إلى تحدي واقعه وصولاً إلى تغييره، والآخر محبط وموئس يذكّره دائماً بعجزه، وبما جلبه عليه طموحه من خطوب وآام.

(٢)

تَلُومٌ عَلَى تَبْلُدِهَا قُلُوباً      تُكَايِدُ مِنْ مَعِيشَتِهَا جِهَادَا  
إِذَا مَا النَّارُ لَمْ تَطْعَمْ ضِرَامَا      فَأَوْشِكُ أَنْ تُمْرِبَهَا رَمَادَا  
فَظَنُّ سَائِرِ الْإِخْوَانِ شَرًّا      وَلَا تَأْمَنُ عَلَى سِرِّ فُؤَادَا

(١) راجع ذلك في الرواية التي أوردها ابن العديم في الإنصاف والتحري، وهي موجودة بتعريف القدماء ص ٥٥٩، ٥٦٠.

فَلَوْ خَبَّرْتَهُمُ الْجُوزَاءُ خُبْرِي لَمَا طَلَعَتْ مَخَافَةٌ أَنْ تُكَادَا

وبعد أن تحدث الشاعر في الأبيات الخمسة السابقة عن موقفه من لوم السوابق والمطايا التي تمثل الجانب المادي من قدرات الإنسان شرع يتحدث عن موقفه من لوم القلوب بوصفها تمثل الجانب المعنوي من تلك القدرات، وقد استخدم الفعل المضارع "لوم" واستخدام المضارع هنا له دلالة على التجدد والاستمرارية، فهذا اللوم لم يقع مرة أو مرتين، ولم يكن فيما سبق من مواقف، وإنما هو سلوك دائم، وممارسة مطردة، كما نلاحظ أن الفاعل هو ضمير المتكلمين "نحن" كأنه يريد أن يشعرك بأن هذا اللوم يمثل موقفاً جامعياً يمارسه كل أحد من الناس حين يخطئه الصواب، أو يحالفه عدم التوفيق في أمر من الأمور المهمة في حياته.

ولاحظ دلالة تقديم الجار والمجرور، والمضاف إليه (على تلبدها) على المفعول (قلوباً)، لابد أن في هذا التقديم إشارة إلى القلوب في حد ذاتها ليست مناط اللوم، وإنما اللوم منصب على عدم تهيؤها لاستقبال أحداثات الزمان. ولكن أيجق لنا أن نلوم القلوب على غفلتها، وعدم انتباهها لما يدور حولها، أو لما يحاك لها من شرور وآثام؟

والجواب لا، فلقد كان من الممكن لومها لو أنها تخلد إلى الراحة، أو تركز إلى الهدوء والدعة فتسترد بذلك بعض عافيتها وقدرتها على التنبه واليقظة، ولكنها مجهدة متعبة لا تهدأ ولا تستريح، فالضغوط عليها كثيرة، وقلب شاعرنا بصفة خاصة يعاني من ثلاثة أنواع من الضغوط، أولها الضغط السياسي، أو انشغاله بالهم العام الذي أحدثه تدهور الحياة السياسية في حلب، واستيلاء الروم عليها، ووصول طائفة من الصغار أصحاب المطامع والمصالح الخاصة إلى سدة الحكم فيها، وهم في سبيل تحقيق مصالحهم ومآربهم يقتل بعضهم بعضاً،



ويستعين بعضهم بالبيزنطيين أو العبيديين على بعض، وثانيها الضغط الاقتصادي الذي يتمثل في فقره، وفاقته، وحاجته وعوزة، فلقد كان الذي يحصل له في السنة مقدار ثلاثين ديناراً، قَدَّرَ منها لمن يخدمه النصف، وأبقى النصف الآخر لمؤنَّته<sup>(١)</sup>، وقد أدى ذلك إلى أن كان أكله العدس إذا أكل مطبوخاً، وحلاوته التين، ولباسه خشن الثياب من القطن، وفرشه من لبَّاد في الشتاء، وحصيره من البردي في الصيف، وترك ما سوى ذلك<sup>(٢)</sup>، وإلى أن كان الطلبة إذا قصدوه أنفقوا على أنفسهم من موجودهم، ولم يكن له من السعة ما يبرُّهم به، وأهل اليسار من أهل المعرة يعرفونه بالبخل فكان - رحمه الله - يتأوه من ذلك، ويعتذر إلى قاصديه<sup>(٣)</sup> ومن شعره الذي عبَّر فيه عن ضيق ذات يده قوله:

كأني حيث يَنشَأ الدُّجْنُ تحتى      فها أنا لا أَطْلُ ولا أجاد

وثالث هذه الضغوط التي يئن منها قلب أبي العلاء يتمثل في الضغط النفسي الناتج عن الغبن، وعدم التقدير اللذين قوبل بهما من معاصريه على الرغم من أنه كان نسيج وحده في حدة الذكاء، وانتقاد القرية، على ما تشير إلى ذلك الروايات المتكاثرة<sup>(٤)</sup>، كما كان اطلاعه على اللغة وشواهدا أمرًا باهرًا<sup>(٥)</sup> حتى لقد قال أبو زكريا التبريزي "وما أعرف أن العرب نظقت بكلمة ولم يعرفها

(١) إنباه الرواة للقفطي، انظر تعريف القدماء ص ٣١.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه ص ٣٧.

(٤) راجع ذلك في الروايات التي أوردها ابن العديم في الإنصاف والتحري بتعريف القدماء ص ٥٥١ وما بعدها.

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي، انظر تعريف القدماء ص ٢٦٥.

المعري<sup>(١)</sup>. وقد عرف القدماء قيمة شعره ونثره قال ابن الصابي وله شعر كثير، وفيه أدب غزير<sup>(٢)</sup>، وقال سبط ابن الجوزي وله النثر البديع<sup>(٣)</sup>.

وهذه الضغوط وأشباهاها كفيلة بأن تدفع الواقع تحتها إلى اليأس القاتل، لأنها تضع على المواهب والملكات حجاباً كثيفاً يحول بينها وبين الهواء النقي الصالح لتنفسها وتفتحها.

ويشير الشاعر في البيت السابع إلى أن القلوب الإنسانية مثلها كمثل النار تحتاج دائماً إلى الغذاء الذي يجعلها متوهجة ومتقدة وذاكية، أرأيت إلى التي النار لا يشك أحدٌ في تلهبها، وقدرتها على الإحراق، إنك لو غفلت عنها ساعة من نهار فلم تُشيعنْها بالوقود فإنك سرعان ما تجدها قد خمدت جذوتها، وانطفأ لهيها، وكذلك القلوب إذا لم تُرقف، ولم يُخفّف عنها تبلدت<sup>(٤)</sup> فانطفأ حماسها، وذهبت حميتها.

وهذا الذي قاله أبو العلاء في هذا البيت السابع يُعدُّ من باب الكلام الجامع عند أصحاب البديع وهو أن يأتي الشاعر ببيت مشتمل على حكمة، أو وعظ، أو غير ذلك من الحقائق التي تجرى مجرى الأمثال، ويتمثل الناظم بحكمها أو وعظها، أو بحالة تقتضي إجراء المثل<sup>(٥)</sup>.

ونريد أن نقف وقفة عند الفاء في قوله فظن في أول البيت الثامن، لقد أشار الخوارزمي إلى أنها (تتعلق بلعلك أن تشن)<sup>(٦)</sup> في أول البيت الرابع، كأنه يريد

(١) الإنصاف والتحري لابن العديم، انظر تعريف القدماء ص ٥٦٩.

(٢) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، انظر تعريف القدماء ص ١٤٥.

(٣) مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، راجع تعريف القدماء ص ١٥٥.

(٤) شروح سقط الزند ٥٥٨/٢.

(٥) خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٢٥١/١.

(٦) شروح سقط الزند ٥٥٩/٢.

أن يبين أن أبا العلاء يرجع نجاح الإنسان في جلب الخير لنفسه، وفي دفع الشر عنها إلى عاملين اثنين:

الأول: أن يشكُّ في كل من حوله، وأن يتوجس ويرتاب حتى في أخلص خلصائه، وأقرب المقربين إليه من إخوانه.

والآخر: أن يكون كاتماً لسره، فلا يبوح لأيِّ إنسان مهما كَبُرَ وسما بأي سرٍّ من الأسرار مهما ضؤلَّ وحقر.

ولا شك أن هذه الرؤية العلائية لها جانبان أحدهما إيجابي، والآخر سلبي، فأما الإيجابي فيتمثل فيما تدعو إليه من الحيطة والحذر، وأما السلبي فيتمثل فيما تشي به من الميل إلى التشاؤم، والإيغال في سوء الظن بالآخرين إلى الحد الذي يصل بالإنسان إلى القناعة التي مؤداها أن ليس هناك أخ، أو صديق صدوق يعين على الخير، أو من الممكن أن يؤتمن على الأسرار.

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن أبا العلاء مولع بتقديم ما حقه التأخير في هذا النص، وفي غيره من نصوص سقط الزند<sup>(١)</sup>، فلقد سبق أن قدم الجار والمجرور والمضاف إليه على المفعول في البيت السادس، ثم ها هو ذا في هذا البيت الثامن يقدم الجار والمجرور والمضاف إليه (بسائر الإخوان) على معمولٍ ظنٍّ في الشطرة الأولى، ويقدم الجار والمجرور (على سرٍّ) على المفعول في الشطرة الثانية.

وهذه الرؤية التي قدمها أبو العلاء في البيت الذي معنا ليست مستمدة من قراءته الفلسفية، وإنما هي مستمدة من تجاربه الحياتية، وخبراته الطويلة في التعامل مع بني البشر على ما يقول هو من قصيدة أخرى:

(١) راجع ما لاحظته د. زهير غازي زاهد من ولوع أبي العلاء بتقديم المتعلقات في: لغة الشعر عند العرب دراسة لغوية فنية في سقط الزند ص ٥٢.

جرئتُ دهرى وأهليه فما تركتُ لي التجاربُ في ودُّ امرئٍ غرضاً<sup>(١)</sup>

وكما يشير إلى ذلك البيت التاسع الذي وظف فيه ما تناهي إلى سمعه من أساطير العرب مرة ثانية، وهذه الأسطورة تتعلق بالجوزاء التي علّق الخوارزمي على ورودها في هذا السياق بقوله "خص الجوزاء من بين سائر البروج لأنه بيت عطارد، وعطارد هو الذي ينسب إليه السلم"<sup>(٢)</sup>.

ويزيد ابن السيد البطليوسي الأمر توضيحاً فيقول "وإنما خصّ الجوزاء بالذكر لما قدمناه من أنهم يسمون الجوزاء التوأمين، ويجعلونها كأخوين تعانقا مودة، واضطجعا، رء وسهما إلى الشمال، وأرجلهما إلى الجنوب، ولذلك كانوا يقولون: إن الجوزاء تقطع السّماء على جنب"<sup>(٣)</sup>.

ومعنى هذا أن العرب قد تواضعوا من قديم الأزل على أن الجوزاء رمزٌ دالٌّ على الخيرية ببعديها الذي يتمثل أولهما في الدعوة إلى السلم، وحقن الدماء، واتقاء الصدام والشر باجتناّب بواعثه ودواعيه، أما بعدها الآخر فيتمثل في إشاعة الحب والألفة، وقيم التوادُّ والتعاطف والمؤاخاة بين الناس، وربما ظنّ ظان أن الجوزاء تظهر في كبد السماء للناس بمقتضى هذه المواضع لا تخشى بأس أحد، ولا تتوقى سوءاً من أحد، إلا أن أبا العلاء يرى أن سبب ظهورها للرائين هو علوها وارتفاعها، وبعدها عن مخالطة بني آدم ومعاملتهم، وقد أكسبها كل ذلك غفلة عن المعرفة الحقيقية بدخائل نفوسهم، مما جعلها تطل عليهم من برجها العاجي وهي آمنة مطمئنة.

والبيت مبني على الشرط، وأداة الشرط "لو"، وهي أداة غير جازمة تدل على

ثلاثة أمور:-

(١) شروح سقط الزند ٦٥٦/٢.

(٢) شروح سقط الزند ٥٥٩/٢.

(٣) شروح سقط الزند ٥٦٠/٢.

أولها: عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها أي الربط بين مضمون الجملتين بحيث يكون مضمون الأولى سبباً في حصول مضمون الثانية<sup>(١)</sup>.  
وثانيهما: تقييد الشرط بالزمن الماضي.

وثالثهما: الامتناع، ونعني بالامتناع ما شاع على السنة المعربين، وأصحاب النحو التعليمي من أنها تفيده امتناع الشرط، وامتناع الجواب جميعاً.

ولعلنا لا نغلو حين نزعم أن أبا العلاء - وهو من هو تضرعاً في اللغة - قد أثر لَوْ دون غيرها من أدوات الشرط، وعمد إليها عمدًا ليضعها في هذا السياق لما يعلم من دلالتها على هذه الأمور الثلاثة التي يتطلبها تقوية لفكرته، فلو في هذا البيت قد أفادت امتناع الشرط بمعنى أنها نفت علم الجوزاء بأحوال الأناسي. ثم أدى امتناع هذا الشرط إلى امتناع الجواب وهذا بدوره يعني أنها قامت بالربط بين مضمون الجملتين على أساس تعليلي بمعنى أن عدم علمها بأحوال الناس كان سبب ظهورها وبيروزها وعدم احتجابها من قديم الأزل.

واللافت للنظر أن في الشطر الأولى من البيت ما يشي بمقارنة عقدها أبو العلاء بينه وبين الجوزاء حين أضاف ياء المتكلم التي يعني بها نفسه إلى لفظة "خبر" في قوله ولو خبرتهم الجوزاء خبري لما طلعت.

ولكان أبا العلاء يشير إلى أنه يشبه الجوزاء في أمرين:

أولهما العلو والرفعة، والأخر حب الخير، وإيثار الموادعة والسكون، والرغبة في مسالة الناس ومهادنتهم، ثم هو بعد ذلك يمتاز عنها بأمر ليس لها قدرة عليه، ولا دراية به، وهو المعرفة الحقيقية بنزوع بني البشر إلى الشر والمكر، والحقد والكيد، تلك المعرفة الناجمة عن شدة مخالطته لهم، وكثرة ما أصابه منهم من أذى وسوء.



(١) حاشية الدسوقي على معنى اللبيب ٢٦٤/١.

-٤-

## قراءة في ديوان قصائد للإسلام والقدس

للدكتور سعد دعيبس

١- المبدع:

الدكتور سعد دعيبس شاعر مصري معاصر، تخرج في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم واصل دراساته العليا بها حتى حصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، وله عدد من الدراسات الأكاديمية في الأدب العربي منها: الغزل في الشعر العربي الحديث في مصر، وألتيار التراثي في الشعر العربي الحديث، وحوار مع الشعر الحر، وله عدد من الدواوين الشعرية التي يدور معظمها حول الإنسان وهمومه وقضاياها منها: أغاني إنسان، وأعترافات إنسان، والبحث عن إنسان، وقصائد للإسلام والقدس، وحوار مع الأيام، وهذا الديوان الأخير حصل به الشاعر على جائزة الشاعر السعودي محمد حسن فقي التي تمنحها مؤسسة يماني الثقافية بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٩٩/٢٠٠٠.

وكان الدكتور سعد دعيبس رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية التربية جامعة عين شمس، وظل بعد إحالته إلى المعاش في وظيفة أستاذ غير متفرغ بالكلية ذاتها إلى أن أقعده مرض الوفاة.

ولقد مارس الدكتور سعد دعيبس الإبداع الشعري منذ يفاعته الباكورة، وها هو ذا يتحدث في مقدمة ديوانه (حوار مع الأيام) فيقول في ذلك: وقد ظل هذا الحوار مع الشعر منذ توهجت روحي بإشراقات الوجود، وعانقت روعة الأحلام في نضارة الصبا، وريعان الشباب، وسيظل الشعر دائماً زاد المعاد، ورفيق الحب والصفاء في رحلة الحياة، ووطني الذي ألوذ به في عواصف العربة

والنوى، ووجودي الذي أنطلق منه حين تحاصرني متاهات العبث والسأم،  
والضيق والعدم<sup>(١)</sup>.

ويروي الدكتور سعد دعبيس أن أول نص شعري نشر له كان بعنوان في  
القاع .. يارب، وقد نشرته مجلة الرسالة التي كان يصدرها الأديب الكبير الأستاذ  
أحمد حسن الزيات عام ١٩٤٨، وكان الشاعر يومئذ لا يزال طالبًا بكلية دار  
العلوم، وهناك نص آخر نُشرَ بعد في القاع .. يارب بأربع سنين بمجلة الثقافة  
التي كان يصدرها عن طريق لجنة التأليف والترجمة والنشر الأستاذ العلامة أحمد  
أمين، وقد نشر بعددها رقم ٧٢٨ الصادر في يوم الاثنين ٢٠ ربيع الأول  
١٣٧٢ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٩٥٢ م، وذلك بعد أن تخرج الشاعر من الجامعة.

وهذا النص عنوانه "سطوح وأعماق"، وقد روى فيه الشاعر قصة الأزمة  
التي تعرضت لها نفسه، وعانى منها قلبه وهو يخطو أولى خطواته العملية بعد  
التخرج، وهي أزمة موت أبيه حيث كان الشاعر أكبر أخوته، ومن ثمّ تضاعف  
إحساسه بالفجيعة لأنه صار على صغر سنه، ونضارة عوده، وقلة خبرته بالحياة  
عائل الأسرة بعد رحيل عائلها، والمسئول عنها بعد أن كان متفرغاً لفنه وأدبه،  
وعالمه، وهذا النص يصور هذه المعاني جميعها ولذلك آثرت أن أسجل بعض  
أبياته ها هنا ليقف القارئ على شاعرية الدكتور دعبيس في أولى مراحلها.

يقول الشاعر:

أختي الصغيرة يا أبي تبكي تريدك أن تعود  
عد يا أبي عد يا أبي حطّم عن الروح القيود  
عد للصغيرة قل لها شيئاً عن القدر العنيد

(١) حوار مع الأيام، د. سعد دعبيس، ص ب.

فلکم أحاول أن أقول فأنثني عمّا أريد

\* \* \*

أقول يا أختاه مات أبوك أم ماذا أقول  
أقول واره التراب وأغمض الجفن الكليل  
أقول راح مع القوافل!! راح في سفر طويل  
في رحلة مسحورة الأفاق يطوبها الدهول  
نشوانة الصحراء شاردة الروابي والسهول  
لا يرتجى منها الإياب، ولا يبين بها سبيل  
كل القوافل قد تعود ولا يطول بها الرحيل  
إلا أباك فلن يعود لسطوة القيد الثقيل  
وفي مقطع آخر من هذا النص يقول الشاعر موجهاً الحديث إلى أبيه:  
أبتاه عد، بل لا تعد، أتعود تحمل همناً  
لا . قد كفاك من الأسى ما قد لقيت لأجلنا  
يا كم تحمّلت العذاب وما شكوت أمامنا  
ولكم ضحكت من الحياة، وكم سخرت من الدنيا

ومعنى هذا أن الدكتور سعد دعيبس ظل يمارس الإبداع الشعري خمسين عاماً متواصلة على الأقل، ولعل هذا ما دفعه للرد على الناقد الكبير الدكتور جار عصفور عندما أعلن أن زمن الشعر قد مضى، وأننا نعيش الآن عصر الرواية يقول الدكتور سعد: إن زمن الشعر لن يمضي أبداً في أي عصر من العصور، وفي أي مجتمع من المجتمعات، وهل يمكن لغربتنا في هذه العالم أن



تنتهي؟، وهل يمكن لأعاصير القلق النائرة في أعماقنا أن تتوقف؟، وهل انتهت صراعات العقل الباطن في لا شعورنا؟، أما يمتلكنا الحنين في كل لحظة إلى الفرار من آلية الحياة الصناعية ورتابتها إلى عالم الدهشة والغرابة؛ عالم الأحلام والرؤى؟. إن زمن الشعر لن يمضي أبداً. بل إن حاجتنا إليه الآن في عصر الملاحم الصناعية والخوارق العلمية لأشد ما كانت في العهود السابقة.

ولا يحسن القارئ العزيز أنني أؤيد الدكتور سعد دعيبس في رده على الدكتور جابر عصفور، ذلك لأنني أرى أن الدكتور سعد قد فهم كلام الناقد الكبير على غير وجهه فالدكتور جابر - من وجهة نظري - يريد أن يشير إلى أن الرواية في عصرنا قد أصبحت فن العربية الأول، وأن الشعر لم يعد فنها الأول، وإنما أصبح فنها الثاني، وهذا صحيح إلى حد بعيد، ويؤيده الواقع من حيث عدد الروايات وأعداد الروائيين التي تتكاثر يوماً بعد يوم، ومن حيث إقبال ناشئة المتأدين، والقراء والمثقفين على اختلاف منازعهم ومشاربهم على ما يصدر من نصوص روائية، ولا أظن أن ديواناً شعرياً يحقق من المبيعات في عصرنا ما تحققه رواية من روايات علاء الأسواني، أو يوسف زيدان، على سبيل المثال من أرقام في عالم التوزيع والنشر.

## ٢- الديوان/ قصائد للإسلام والقدس\*

تساءل - منذ فترة- أستاذنا الدكتور الطاهر مكي عما أصاب شعراءنا - هذه الأيام - ببلادة الحس، وجهود المشاعر، وتحجر العواطف<sup>(١)</sup> في وقت تتكالب فيه على الأمة العربية والإسلامية ذئاب البشر، وتتداعى عليها فيه الأمم كما

(\* نشر هذا المقال من ذي قبل بمجلة الأزهر، السنة الحادية والسبعون، الجزء السابع، رجب

١٤١٩هـ/ نوفمبر ١٩٩٨م، الصفحات من ١٢٤ إلى ١٢٨.

(١) د. الطاهر مكي: شمس الشعر الغاربة، مقال بمجلة الهلال عدد ديسمبر ٩٦. ص ١٠٦.

تداعى الأكلة على قصعتها، وتأتيها المصائب والنوازل مصبحة وممسية، وتتغطرس إسرائيل، وتمارس أبشع صنوف الاضطهاد والتشريد والتعذيب والطرد تجاه العرب والمسلمين في القدس الشريف والأراضي المحتلة، ويسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى من الفلسطينيين بين الحين والحين دفاعاً عن حقوقهم المشروعة ووطنهم السليب.

ولعل هذا الديوان قصائد للإسلام والقدس للشاعر العالم الدكتور سعد دعيبس يمثل صرخة تشق جدار الصمت لتعلن - أولاً - أن هناك نفرًا من شعرائنا لا يزالون يعيشون هموم مجتمعاتهم، ويعبرون عن آمالها وآلامها، ويتفاعلون مع ما يحدث بها من أحداث جسام، ولتعلن - ثانياً - أن هذا الشاعر واحد من هؤلاء .

والدكتور سعد دعيبس شاعر ينطلق في إبداعه الفني من موقف محدد، وأيديولوجية خاصة، ذلك أنه أحد الشعراء الذين أسهموا إسهاماً فعالاً في تنشيط حركة الأدب الإسلامي، وهو في مفهومه ذلك الأدب الذي يتبنى قيم الإسلام السامية، ومبادئه العليا، وغاياته الشريفة، ويستمد موضوعاته من تلك القيم والمبادئ والغايات مضافاً إليها ما يحفل به التاريخ الإسلامي - ممثلاً في سيرة الرسول ﷺ، وسير خلفائه الراشدين، وصحابته الأكرمين، ثم سير علماء الأمة ومفكريها وفلاسفتها مبدعيها - من صفحات ناصعة، وصور رائعة لحميد الفعال، وكريم الخصال .

والأديب المسلم عند الدكتور سعد دعيبس هو ذلك الأديب الذي يتبنى قضايا مجتمعه الإسلامي<sup>(١)</sup>، وينفعل بها، ويعبر عنها في إبداعه داعياً المجتمعات

(١) د . سعد دعيبس : قصائد للإسلام والقدس، المقدمة ص ٨ ، الطبعة الأولى القاهرة ٨٩ .  
و جميع الإحالات بعد ذلك على هذا الديوان.

الإسلامية إلى التخلّص مما حاق بها من أسباب الضعف والتخلف، وحاتاً إياها على استشراف المستقبل، والتأهب له بالاتحاد ونبذ عوامل التفرق والتشرذم، والأخذ بأسباب العلم واستيعاب منجزات العصر الحديث وتقنياته في جميع المجالات، ثم العمل بعد ذلك على أن تكون لهم إضافاتهم إلى صرح الحضارة، ومشاركتهم في النهضة العالمية الحديثة .

وهذا الديوان الذي نعرض له بالتحليل والنقد ينحو هذا المنحى، وهو كما يبدو من عنوانه يتبنى قضيتين أساسيتين :

أما القضية الأولى : فهي الدعوة إلى الإسلام بما يحمل من قيم التواد والتعاطف والتراحم، وبما يدعو الناس إليه من الحرية والمساواة والعدل، فهو دين يسوى بين الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم، أجناسهم، لا فرق فيه بين صغير وكبير، ولا بين أبيض وأسود، إلا بما يقدمه للناس من خير، وبما يحمل في قلبه من رفق وفي نفسه من إباء للضيم، وترفع عن الدنيا، وفي هذا يقول الشاعر من قصيدته إنسانية الإسلام على لسان الإسلام نفسه:

صلي بالكون.. إنسانية	تلتقى أجناسها في المعبد
قيم الأفراد .. في أعماقهم	ليس بالأبيض .. أو بالأسود
إنما أجناسنا أسطورة	تمحى أوهاها في المسجد
وبريق اللون يجبو عندما	يسجد الناس لرب أوحد <sup>(١)</sup>

وفي سبيل الدعوة إلى الإسلام يمضى الشاعر في قصيدته يستعرض على لسان الإسلام نفسه أجماد هذا الدين، وأثره على بني الإنسان في المشارق والمغرب حيث صهرهم يوماً في بوتقة واحدة وجمعهم على كلمة واحدة،

(١) الديوان ص ١٠٣ .

وأذاقهم نعيم الوحدة العامة، والأخوة التامة، والمساواة والعدل المطلق، مما أتاح لهم أن ينسوا ما كان بينهم في سالف الزمان من إحن وثرارات :

قد سَكَبْتُ الكونَ يوماً وحدةً      من أزاهيرِ ربيعِ مورقِ  
غُرْدَ ابنِ الغربِ فيها لَحْنُهُ      مثلما هام بها ابنُ المشرقِ  
نسى الرومان والفرس بها      إحنًا كانت كليلِ مطبقِ  
وغدوا من بعد حربِ إخوةٍ      وزهى الكونِ بعدلِ مُطَلَّقِ<sup>(١)</sup>

وفى ظل هذا العدل المطلق والوحدة الجامعة نشأت حضارة هذا الدين، تلك الحضارة الإسلامية التي أعلنت قيمة الإنسان، وغالت بكرامته، وصانت آدميته، وحفظت عليه حياته - حتى وهو أسير - فلم تفكر يوماً في الاعتداء عليها، أو إزهاقها، أو اختراع أدوات ومواد تنسفها وتبيدها:

لم تُبِخْ قَتْلَ أسيرِ أعزِلِ      بجرائيمِ وبإاءِ مُغْلِمِ  
لم تفجر ذرة طائشة      تُجَعَلُ الكونَ بقايا مائِمِ<sup>(٢)</sup>

والشاعر في هذا يعرض بالحضارة المادية الغربية الحديثة التي تقوم على البطش بالضعفاء، والفتك بالأعداء دونما، تفرقة بين بريء ومجرم، وظالم ومظلوم، ومحارب ومسلم.

ويدرك الشاعر أن في الإسلام علاجاً للإنسانية جمعاء من آلامها وهمومها وشقائها وتعاستها بما أنجزت من تقدم مادي باعد بينها وبين عالم الروح، وبما تردت فيه من الانحلال والتفكك والتمزق لذا نراه ينادى الإنسان - أيأ كان موقعه على خريطة المعمورة - على لسان الإسلام نفسه فيقول:

(١) الديوان ص ١٠٥ .

(٢) الديوان ص ١٠٦ .

آن أن تسمع ألحان المنى

يا أخي في الشرق والغرب أفق

فأصغ للفجر يسرى معلنا

آن أن يغمر عينيك السننا

واسمعوا صوتي .. إنني هاهنا

وارقبوا الأفق فإني قادم

أنا طب الكون.. آمال الدنيا<sup>(١)</sup>

إنني الإسلام .. حلم العالم

ويرى الشاعر النبي ﷺ شمس اخضرار تبدد ظلام اليأس والقنوط والحيرة،  
وتزرع الأمل والخير والسلام في دنيا الوجود:

أراك على الأفق شمس اخضرار ترفرف فوق القرى والدروب  
تذيب جبال الأسى والهجوم حدائق ضوء بفسح خصيب<sup>(٢)</sup>

أما القضية الثانية : التي تبناها هذا الديوان فهي "قضية القدس التي كتب فيها  
عدداً من القصائد من مثل "خلفتان لصورة القدس" و"وطن المسلم"، وأنهم  
يسرقون القدس من معجم البلدان وفي هذه الأخيرة تمتلى نفس الشاعر بالحيرة  
المزوجة بالحسرة والألم حتى إنه ليتساءل قائلاً :

أتري زيفوا المعاجم حتى نسى القدس مُعْجَمُ البلدانِ  
أين ألقى في معجم اليوم رسماً لبلاد الإسراء والإيمان  
وطن .. مسجد .. أذان .. صلاة أين ألقى بيان تلك المعاني<sup>(٣)</sup>

ويشير الشاعر إلى ما يرتكبه المحتل فيها من اعتداء على الحرمات، وقتل  
للأبرياء ، وإشاعة للخوف والذعر:

جنود صهيون قد ساقو قوافلنا أسرى لأمرهم نعنو ونأتمر

(١) الديوان ص ١٠٦ .

(٢) الديوان ص ٨٦ .

(٣) الديوان ص ٢٤ .

وهتكوا عرض من شاءوا وما رحموا وعربدوا مثلما شاءوا وما ازدجروا  
ومزقوا جثث الأطفال في نهم وهللوا لدم الأطفال وافتخروا<sup>(١)</sup>

وينظر الشاعر إلى هذه الأفعال التي يرتكبها المحتل في الأراضي الفلسطينية فيراها لا تصدر عن إنسان له قلب وروح ، وعروق تجري فيها دماء الحياة فيتساءل : من أي جنس يا ترى من الأجناس هؤلاء العابثون بالكرامة الإنسانية، المحطمون لأروع حضارة عرفتها البشرية على مر التاريخ ؟ أهم من الحيوانات العجماوات ، ومن أي فصائلها هم إن كانوا منها ؟ ، أمن الوحوش أم من البقر؟

وحوش غاب همو .. لا بل زبانية<sup>(٢)</sup> الوحشُ يَأْتَفُ مما يفعلُ الفجر  
أهم بهائم .. قد أرخوا أزمتهما حَمِيرٌ وحشٍ همو .. أم يَأْتَرَى بَقْرٌ<sup>(٢)</sup>

وسرعان ما يتذكر ما جُيِلت عليه الحيوانات من الرحمة فيدرك أنه :

لا شيء من عالم الغابات يشبههم<sup>(٣)</sup> فللوحوشِ قلوبٌ .. مثلما البشر<sup>(٣)</sup>

ولا يدعنا الشاعر نتوهم أن قلوبهم قد قدت من حجارة صماء لا تشعر ولا تحس ولا تلين حيث يقول:

حتى الصخور إذا قيسوا بها رفضت<sup>(٤)</sup> فالصخر من قلبه الأمواه تنفجر<sup>(٤)</sup>  
وهو في هذا البيت متأثر على المستويين التعبيري والتصويري بالآية القرآنية

(١) الديوان ص ٤٠ .

(٢) الديوان ص ٤١ .

(٣) الديوان ص ٤١ .

(٤) الديوان ص ٤١ .

التي وصف بها الحق جل جلاله، قسوة قلوب بني إسرائيل، وهي قوله تعالى  
 ناعياً عليهم تحجر قلوبهم ومشاعرهم: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ  
 كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا  
 يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا  
 تَعْمَلُونَ»<sup>(١)</sup>.

ويقف الشاعر مشدوهاً أمام الطفل الفلسطيني الذي يقاوم الاحتلال  
 والعنف الإسرائيلي بالحجارة، ويهدي أروع قصائده العيد .. والمآذن الشائرة إلى  
 الأم الفلسطينية التي قدمت للعالم أطفال ثورة الحجارة.

ويرى أن الحجر في يد الطفل الفلسطيني قد تكلم فأحسن البيان ... اسمعه  
 وهو يقول على لسان طفل يخاطب أمه، ومن حوله من أهل وأحباب:

أرأيت أشعار الحجارة كم لها سحر ميين  
 فلتسقطوا فن البلاغة في الحواشي والمتون  
 ولتدرسوا الأحجار فهي بلاغة الخبر اليقين

\* \* \*

فن الحجارة مولد لبلاغة لا تستكين  
 إن البلاغة حيثما الأحجار تأبى أن تهون  
 ولقد تعيد حجارة رشداً لمن زعم الجنون  
 ولقد تبين حجارة صماء ما لا يستبين

\* \* \*

(١) سورة البقرة، آية ٧٤.

اهداء شبكة الألوكة  
إن البلاغة موقف فاخر لنفسك أن تكون

وارباً بنفسك عن بلاغة أن تكون .. ولا تكون

وسل الحجارة حين تحملها قلوب المؤمنين

سلها فإن بيانها يشفي قلوب الحائرين<sup>(١)</sup>

ولقد خلع الشاعر في هذه القصيدة على الحجارة كل معاني الحياة الإنسانية، فهي تقول شعراً له سحر مبین، وتعيد الرشد لمن زعم الجنون، وتُسأل عن نفسها فتجيب إجابة تشفي قلوب الحائرين.

وفي تصوري أن الشاعر يعرّض في هذا النص بالخطب التي دأب السياسيون عرباً، وغير عرب على إلقائها داعين طرفي النزاع إلى ضبط النفس كلما لجأت إسرائيل إلى العنف والبطش.

كما زواج فيها بين الأساليب الإنشائية والخبرية للتعبير عن انفعالاته وأحاسيسه بهذه الانتفاضة، وهؤلاء الأطفال الذين استطاعوا - بالحجارة وحدها - أن يقضوا مضاجع المحتلين، وأن يلفتوا أنظار العالم كله إلى ما أحاط بهم من الظلم، وما لفّ حاضرهم ومستقبلهم من الضياع.

وعلى هذا النحو من التعبير والتصوير يمضي الشاعر في بقية قصائد ديوانه القيم الذي أثرى به - ولا شك - دنيا الشعر العربي المعاصر.



(١) الديوان ص ٣٧ .



## بكاء الشادوف

أقصوصة لمحمد عبد الحليم عبد الله

يستوقف نظر من تسوقه قدماءه إلى تلك البقعة الهادئة الواقعة على النيل فى القاهرة قطعة أرض من بقايا الحقول تنظر إليها القصور فى ازدياء وكبر .. لكن الخصب الكامن فى معدنها بدا كأنه يتلقى عنجھية المباني بتسامح وعفو وإغضاء، كنفس العمل الذى يأتيه سكان هذه المباني، ونفس العمل الذى يأتيه الكادحون فى هذه الأرض.

وهناك كوخ صغير يجثم بين قصرين.

جدرانه من صفيح وحطب، وطين وقصب ... وجثم كأنه رصد وكله فرعون بكنز ثمين.

يتصاعد الدخان من بابه وسقفه وكواه والتفاريح التى تملأ جدرانه، فلو رأته من بعيد لظننت أنه يحترق.

لكنك حين تقترب منه يأخذ سمعك أول ما يأخذ غناء ناشز لا انسجام فيه يتردد بلهجة صعيدية، ويراسله على البعد فى وسط الحقل بكاء لشادوف ينزف الماء من بئر غير غزيرة، حيث يسقى السبانخ والخبازى والنعناع والجرجير، وبعض شجرات من الورد نثرت فى فوضى على حوافى الحقل لأن غرسها لم يكن عملاً مقصوداً لذاته.

وإن كنت ممن لا يقيسون الأمور بالأرقام كما يفعل عداد الماء أو عداد الكهرباء؛ حكمت بأن فى هذا الكوخ سعادة قد لا تكون فيما هو منزو بينه من قصور.

وكثيراً ما يأخذ بصرك أول ما يرخى الليل سدوله غلام فى السادسة من

عمره، أسود، صعيدي، مخلوق الرأس بغير انتظام، جميل العينين، أخضر الأسنان من كثرة أكل الخضر. واسع الجلباب، مفتوح الصدر.

ترى هذا الغلام وقد جعل من إحدى الصفائح الفارغة دفا يوقع عليه غناء يطرب له جدا .. وقد تطرب له أنت كذلك على شرط أن تسمعه بأذنيه.

قلما يمسك الشادوف عن البكاء ..

قلما يكف الدخان عن التصاعد ..

وقلما يتخلف الغلام عن الغناء ..

مشاهد متتابعة متلاحقة كأن كلا منها كان سببا في ظهور الآخر!!

\*\*\*

كان الليلة جالسا على باب الكوخ واجماً لا يغنى، والدف الصفيح ملقى على بعد منه كأنه عود خال من الأوتار، وكان وجهه الذي بدت ملامحه تحت ضوء شاحب من مصباح صغير متجها إلى نافذة القصر، فقرأت عليه حزناً، وأظن أنه لولا وقوف الظلام بيني وبينه لرأيت في عينيه البريئين دموعاً، وأيد ماظنت أنني سمعته يهيب بأمه الجالسة على العتبة من الداخل قائلاً لها وهو يشير إلى نافذة مضيئة: أما يزال "عادل" مريضاً بالحمى؟ .. ترى كيف حاله الآن؟. إنني لم أره من زمن طويل .. طويل.

كل يوم أجهز له الورد ولكنه لا ينزل .. ليتنى أستطيع الدخول إليه .. منعنى الخدم خمس مرات، فرميت الورد في النيل، لأننى قطفته من أجله.

فقالت الأم في حدة شديدة: إياك أن تحاول هذا مرة أخرى .. مغفل .. أمتى ح تفهم، إن أمه غاضبة، وتزعم أن نزوله إليك هو الذى سبب له الأمراض، ألم تسمعها وهى تحذره من أن يمشى فى الحقل، أو يقترب من الكوخ؟! فقال الغلام:

سمعتها يا أمى . وكانت تفتح النافذة المطلة علينا وتنحنى إلى الأمام وهى تشير بيديها وتنادى عليه: "دولا .. دولا .. ألم أنك عن النزول؟!"  
فيفر عادل من أمامى!!

ثم يسكت الغلام برهة، ويشرد بصره فى الفضاء قبل أن يمصص بشفتيه، ويهز رأسه فى صمت، ثم يسأل أمه:

- لكن .. لم يمرض عادل يا أم وهو يأكل لحما ويعطينى شيكولاته؟! إن الدكتور فى المستشفى قالى لى يوم ذهبت مريضاً غداً نفسك يا شاطر". لم هو مريض يا أم؟!

- لم يمرض من الأكل.

- هل مرض من الجوع؟ .. هل حرمه أبوه من الأكل لأنه (لا يسمع الكلام)؟

- ولا هذا يا مرسى .. أنه مريض بالحصى.

- سيشفى بإذن الله، فقط عليه أن يغذى نفسه.

- بالعكس يقولون: إن الطبيب منعه من الأكل وهو يعيش على السوائل وحدها.

فهز الغلام رأسه فى حيرة مرة أخرى، لأنه لم يستطع أن يوفق بين مشكلتين بدا التناقض واسعا بينهما: ناس يمرضون فيشفون إن شبعوا، وناس يمرضون فيشفون إن جاعوا.

وفاحت روائح العدس فطرت نواحي الكوخ، وجلس مرسى إلى العشاء بين أبويه، وبات بعدها يغط فى سبات عميق لأنه البصل كان أكثر من كل مرة.

\*\*\*

ولم تشأ أسرة عادل أن تؤخر عيد ميلاده وإن كان لا يزال في دور النقاهاة، لأن في تأخير أعياد الميلاد شؤماً على المواليد!! ورأى مرسى وهو جالس عند باب الكوخ معطل الدف أن القصر الليلة في زينة وأن أناساً كثيرين يدخلون، وسأل فعلم حقيقة الموضوع، وتقبل المريض التهاني والهدايا وهو في سريره، واختصر الحفل مراعاة للظروف، وتجمع المدعون يسمرون، وتركوه وحده في الفراش.

وكانت هناك أقدام تتسلل على السلم الخلفي في طريقها إلى عادل، وحالف الحظ صاحبها فلم يشعر به أحد، ودخل مرسى على صديقه غرفة نومه وفي قلبه شوق، وفي يمينه حزمة كبيرة من الأزهار لم ينسقها سوى الحب، وكان المريض مسبل الجفنين كأنه نائم، فأقبل عليه صديقه كما يقبل الظامئ على المنهل، وأكب عليه في قبلة أيقظته من أحلامه، وعجب عادل لأن البراءة لم تكن قد خضعت بعد لسultan التقاليد، فابتسم له، ومسح على رأسه الأشعث المغبر، لكنه سرعان ما تذكر أمه وخيل إليه أنها تنادى من النافذة المطلة على الحقل وهو تشير بأحدى يديها :

"دولا .. دولا .. ألم أنك عن النزول؟!"

فقال لصاحبه :

أنزل يا مرسى .. أنت سبب مرضى كما تقول أمى!!

فلم يسع الضيف إلا أن يحمق فيه بعينين مستغربتين فيهما آثار من الدموع وهو يشير إلى صدره بإصبعه متعجباً منكرأ: أنا ؟ ... أنا؟ ..

وكأنما عز على الصديق الثاني أن يبكى زائره فهمس : أنت زعلت ..

فمال مرسى عليه ليقبله مرة أخرى.

\*\*\*

وتنقضي أيام يتم فيها شفاء عادل، وينزل إلى الدنيا ليملاها نورا، وتحقق  
الأم نذرا أنذرتة الله، فتحرم على ابنها أن يحوم حول الكوخ القريب ولو مرة  
واحدة، وتظل عينا الصبي الثاني تبحثن فى سكون ولهفة عن الصبي الأول  
حتى إذا ماغلبهما اليأس اتجهتا نحو نافذته تطالعان النور .. ثم تنقضي أيام  
آخر...

وتنسق الأمور لأم عادل، لأن ابنها أصبح فى أمان

إن مرسى لا يظهر له ظل فى المكان جميعه، ولا يسمع له صوت، وكثيرا ما  
يهز الشوق إليه ابنها الصغير فيظل على النافذة عله يراه عند الكوخ .. كان  
مرسى يهتف باسمه، لكن صوته لم يصل إليه لأنه كان بعيداً.

كان راقداً فى مستشفى الحميات، فى الدرجة الثالثة، حيث تتقارب الأسرة  
فى ازدحام قدر، تشرف عليه نفوس لا تحب عملها.

كان الغلام إذا هتف باسم صديقه وهو فى وهج الحمى تنهدت إحدى  
الأمهات فى سرير مجاور لتسهر على ابنها الصغير كما يقضى نظام المستشفى ثم  
قالت :

- يا عيني ... لازم أخوه!!

لم يكن هناك غناء لأن مرسى غائب، لكن الدف الصفيح كان ملقى فى  
إهمال على مقربة من الباب.

والشادوف كما هو لا يكف عن البكاء، والدخان كما هو كذلك لا  
يتخلف عن التصاعد .. أعنى أن ظاهرة واحدة من الظواهر الثلاث هى التى  
غابت!

وتدافعت الأيام فى طريقها والمريض فى المستشفى يزهد فى الطعام يوماً  
بعد يوم حتى قنع بالماء ... ثم استغنى عنه آخر الأمر!

وارتفع صراخ فى الكوخ بعد ارتفاع الضحى حين نعى المستشفى إلى  
الأبوين ولدهما .. ثم غابا قليلاً عن الحقل ريثما قضوا له آخر حاجاته ثم  
عادوا.

وكان أول ما عملته أم مرسى أن أخذت الدف وجرت به نحو النهر وألقته  
فيه.

وأشرقت شمس اليوم التالى فتخلفت الظاهرتان الباقيتان .. لم يكن  
الشادوف فى ذلك اليوم يبكى لأن صاحبه كان يبكى بعينه .. ولم يكن يتصاعد  
من الكوخ دخان.

وكان هناك صوت فى النافذة ينادى بين حين وحين:  
"دولا .. دولا .." فيكمل الوالدان فى ضميرهما بقية الدعوة: "لم أنهك عن  
النزول؟!"

ثم تكفكف المرأة دمعها بطرحتها، ويمسح الرجل دمه بطرف كفه.  
ثم أظلت الليلة التالية فلم يوقد فى الكوخ مصباح، بل لبس الظلام منذ  
مدخل الليل حتى نهايته .. أما القصر فقد كان مشرقاً بأضوائه، مزهوراً بجمال  
بنائه .. فهل أحس بالزهو الذي يحسه الصنم حين يحرق تحت قدميه قربان؟!



## القراءة

محمد عبد الحليم عبد الله روائى مصري، ولد عام ١٩١٣ بإحدى قرى محافظة البحيرة، تخرج في كلية دار العلوم، وله عدد من الروايات مثل معظمها على شاشة السينما من مثل: "لقطة"، و"غصن الزيتون"، و"من أجل ولدى"، و"البيت الصامت"، وله عدد من المجموعات القصصية مثل: "ألوان من السعادة"، و"النافذة الغربية"، وأشياء للذكرى، و"جوليت فوق سطح القمر"، وقد لاحظ الأستاذ يوسف الشارونى أن نشأة المبدع الريفية قد تركت بصماتها الواضحة على ما كتبه من أدب فيما بعد، لاسيما في أعماله المبكرة، سواء من حيث اختياره للأماكن التي تدور فيها أحداث قصصه، أو شخصياته التي خضعت تصرفاتها - على حد تعبيره - لمشاعر الريفى الحى الخجول المتدين<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الأستاذ الشارونى عند تحليله لمجموعته القصصية "حافة الجريمة" قد قال تضم هذه المجموعة سبع عشرة قصة لو حذفنا منها قصة أو قصتين لما استنشقنا غير رائحة الريف<sup>(٢)</sup>. فإننا نستطيع أن نقول القول نفسه على موضوعات مجموعته القصصية "النافذة الغربية" التي أخذنا منها أقصوصة هذا الدرس.

والأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله رجل مصرى من صميم الريف، قدّر له أن ينال حظاً من التعليم والثقافة وفقاً لبيئته التي نشأ فيها وترعرع بين أحضانها، ومن ثم فقد تبنى عرض مشكلاتها فى قصصه، حتى ليستطيع دارس

(١) يوسف الشارونى: الروايات الثلاثة - طبعة هيئة الكتاب سنة ١٩٨٠م ص ٢١٩.

(٢) السابق نفسه ص ٢٦٧.

علم الاجتماع أن يقف على كثير من ملامح مجتمع ريف مصر قبل الثورة من خلال قراءاته لقصص محمد عبد الحليم عبد الله.

لقد كان الريف المصرى قبل الثورة ثورة يوليو ٥٢ يعانى من ويلات ظلمات ثلاث (الفقر والجهل والمرض)، وكان الفلاح المصرى يقضى ساعة نهاره فى شقاء وكدح، يفلح الأرض، ويتعهدا بعنايته حتى تؤتى أينع الثمار، ثم يذهب عائد تبعه وحرثه وزرعه إلى غيره، إلى الإقطاعي الذي يملك الأرض، وربما يملك الفلاح أيضاً.

لقد كان الفلاح قبل يوليو ٥٢ مظلوماً أبشع الظلم، لا ينال أجراً على عرقه، ولا يستطيع أن ينا حظاً - ولو ضيلاً - من التعليم، وإذا مرض لم يجد من يعالجه، ويظل يتقلب ويتلوى في فناء داره إلى أن يموت حينه.

هذه هي البيئة التي نشأ فيها محمد عبد الحليم عبد الله، وهذا هو حالها من السوء، وأقصوصة "بكاء الشادوف" تحاول أن تظهر التناقض الواضح بين هاتين الطبقتين من طبقات المجتمع، طبقة الأغنياء الذى يتسلطون على الناس بما يملكون من الثروة والجاه، وطبقة الفقراء الذين كان يمثلهم الفلاح المصرى أصدق تمثيل.

تحاول هذه الأقصوصة أن تركز على سلوك هؤلاء وأولئك، فالفقير الذى يمثله "مرسى" الطفل الصغير الذى ينتمى إلى الفلاحين إنسان عف، بسيط، ودود، متسامح، وصديقه "عادل" الذى ينتمى إلى طبقة الأغنياء لا يستطيع إلا أن يتأثر بما يتحكم فى قصره من أعراف، ومن ثم فهو يصعر خده فى أكثر من موقف، ويقابل مرسي عندما يذهب لزيارته وهو مريض بعجرفة وعنجهية.

وتشير الأقصوصة إلى أن مرسى الفقير البسيط الذى يسكن فى كوخ متواضع يشعر بالسعادة غامرة من أعماق نفسه لأن حياته بسيطة رتيبة هادئة،



ولأن الإحساس بالسعادة شئ كامن فى داخل النفس، يعمل الرضا على زيادة الشعور به، أما صاحبه (عادل) فعلى الرغم من غناه، ومن المعيشة الرغدة التى يجيها فإنه لا يشعر بالسعادة، لأنه يعيش تحت وطأة قيد ثقيل من الأعراف والبروتوكولات التى يلزم بها أصحاب القصور أنفسهم وذويهم.

ومن المظاهر التى تدل على ولوع الكاتب بإبراز المتناقضات التى فى المجتمع أيضاً، ما ألمح إليه الكاتب من أن (عادل) حينما مرض جاءه الطبيب إلى المنزل، وظل تحت عنايته الكاملة حتى عوفي من مرضه، على حين أن (مرسى) حينما مرض بالمرض نفسه أرسل إلى مستشفى، ثم جلس فى مقاعد الدرجة الثالثة، حيث الإهمال، وسوء المعاملة، لأن هذا القسم تشرف عليه أشخاص لا تحب عملها.

كان محمد عبد الحليم عبد الله يريد أن يقول لقد صار المجتمع المصري مجتمعا مادياً صرفاً، فهؤلاء الذين يشرفون على هذا القسم من أقسام المستشفى فى الحقيقة لا يؤدون أعمالهم لأنهم لا عائد يعود عليهم من وراء تأدية هذه الأعمال، وكأنهم لا يقنعون بما يأخذون من أموال الدولة - لاحظ زمن كتابة القصة - ويرون أن من واجبه أن يبتزوا جيوب الناس.

### في التحليل الفنى للقصة:-

الوصف : يتكئ الكاتب على الوصف فى بناء قصصه، وهو حين يصف إنساناً، أو جماداً يعنى بالأشياء الصغيرة جداً، ويستنطقها حتى لتبوح بأسرار صاحبها النفسية، وحتى لكأنك تستطيع إن كنت من المبدعين فى الفنون التشكيلية أن تمسك بريشتك وترسم صورة مقاربة للأصل للمنظر أو المشهد الذى وضعه الكاتب، فقد بدأ أقصوصته بوصف المكان الذى هو وعاء الحدث وصفاً تفصيلياً فقال يصف القصر"

يستوقف نظر من تسوقه قدماءه إلى تلك البقعة الهادئة الواقعة على النيل في القاهرة قطعة أرض من بقايا الحقول تنظر إليها القصور في ازدياد وكبر، لكن الخصب الكامن في معدنها بدا كأنه يتلقى عنجھية المباني بتسامح وعفو وإغضاء. كنفس العمل الذي يأتيه سكان هذه المباني، ونفس العمل الذي يأتيه الكادحون في هذه الأرض.

ثم قال يصف الكوخ:

"وهناك كوخ صغير يجثم بين قصرين ... جدرانها من صفيح وحطب، وطين وقصب ... وجثم كأنه رصد وكله فرعون بكنز ثمين، يتصاعد الدخان من بابه وسقفه وكواه والتفاريح التي تملأ جدرانها، فلو رأيته من بعيد لظننت أنه يحترق".  
وبعد أن وصف المكان وصف بطل الأقصوصة أو الشخصية الرئيسية في القصة، وهو الغلام "مرسى" وصفاً دقيقاً يستوعب كل ملاحظته، ويفصح عن حالته النفسية، فلقد حدد سنه، ووصف شكله طولاً وعرضاً ولوناً، ووصف ملابسه، ووصف العمل الذي يتلهى به ليقطع أوقات الفراغ، يقول: "وكثيراً ما يأخذ بصرك أول ما يرخى الليل سدوله غلام في السادسة من عمره، أسود، صعيدي، مخلوق الرأس بغير انتظام، جميل العينين، أخضر الأسنان من كثرة أكل الخضر، واسع الجلباب، مفتوح الصدر، ترى هذا الغلام وقد جعل من إحدى الصفائح الفارغة دفا يوقع عليه غناء يطرب له جداً".

ونلاحظ أن كاتب القصة جعل شخصيتها الرئيسية شخصية تنتمي إلى صعيد مصر حتى توحى بما عليه أهل الصعيد من إباء وشمم، كما نلاحظ أنه عبّر بأوصاف تُشْمُّ عن فقره الشديد لمخلوق الرأس بغير انتظام" ربما لأن أمه هي التي تقوم له بهذا العمل لأنه لا يمتلك مالا يذهب به إلى الحلاق، وأخضر الأسنان من كثرة أكل الخضر" ليشير بها إلى أن غذاء هذا الغلام يعتمد بالدرجة

الأولى على ما يخرج من الأرض من الخضرا، وكأنه يريد أن يدل بهذا على شدة فقر هذا الغلام لأنه لا يأكل اللحم بسبب فقره "واسع الجلباب" ليدل على أن الجلباب الذي يرتديه لم يصنع خصيصاً له، وإنما هو جلباب أبيه، أو جلباب أهدي إليه من أحد بعد أن استهلكه، ولم يعد يصلح للاستخدام، "مفتوح الصدر" يدل بها الكاتب على أن هذا الغلام لا يرتدى شيئاً تحت هذا الجلباب الواسع.

ولا يعتمد الكاتب في وصفه على حاسة البصر وحدها، بل يتكئ في وصفه على استخدام معظم الحواس التي يدرك بها الإنسان حقائق الأشياء، فمن إتكائه على الوصف السمعي قوله في وصف الكوخ: "لكنك حين تقترب منه يأخذ سمعك أول ما يأخذ غناء ناشز لا انسجام فيه يتردد بلهجة صعيدية ويراسله على البعد في وسط الحقل بكاء لشادوف ينزف الماء من بئر غير غزيرة".

اللغة: لغة القصة فصيحة إلا فيما ندر، ويبدو في كثير من عباراتها تأثر المبدع بالثقافة اللغوية العربية والإسلامية التي درس طرفاً منها في كلية دار العلوم، ترى ذلك في قوله عند وصف الغلام "وكثيراً ما يأخذ بصرك أول ما يرخى الليل سدوله غلاماً..." حيث يستخدم في الحديث عن إقبال الليل تعبير امرئ القيس، الشاعر الجاهلي المشهور في معلقته واصفاً تراكم الظلام، وشدة وطأته عليه في قوله:

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
على بأنواع الهموم ليبتلى

وفي موضع آخر يريد الكاتب أن يصف شوق مرسى إلى رؤية صاحبه الذي لم يعد ينزل من القصر بسبب مرضه، فيذكر أن مرسى صعد إلى حجرة صاحبه من الباب الخلفي حتى لا يراه أحد، ودخل فوجد صاحبه نائماً يقول الكاتب: " فأقبل عليه كما يقبل الظامئ على المنهل"، ولا شك أن هذه الصورة مستمدة من الثقافة اللغوية العربية مثل سابقتها.

وفي نهاية القصة يبدو تأثيره بالثقافة العربية وهو يقارن بين حال الكوخ الذي تسربل بالظلام بعد موت صاحبه، وحال القصر الذي ظل متوهجاً من كثرة الأضواء فيقول: "ثم أظلت الليلة التالية، فلم يوقد في الكوخ مصباح، بل لبس الظلام منذ مدخل الليل حتى نهايته .. أما القصر فقد كان مشرقاً بأضوائه، مزهوراً بجمال بنائه، فهل أحس بالزهو الذي يحسه الصنم حين يحرق تحت قدميه قربان؟!".

وقد وفق الكاتب في استخدام اللغة العامية في الأقصوصة حيث كانت هي اللغة التي يتكلم بها مرسى، وتتكلم بها أمه دائماً، وهذا شيء محمود للكاتب لأنهما غير متعلمين، وكذلك كانت أم عادل تتكلم بالعامية، ومن تكلم بالعامية أيضاً في القصة الأم التي كانت تسهر على رعاية ولدها بالمستشفى إلى جوار مرسى.

وإلى جوار اللغتين الفصحى والعامية نجد الكاتب يتكلم كثيراً على معجم التعبيرات الدالة على الحركة الجسمية، فنراه يستخدم الانحناء إلى الأمام، وممصصة الشفاه، وهز الرأس، والتنهد، والإشارة بالأصابع، لإثراء التعبير والتصوير في القصة.

وقد وقع الكاتب في بعض الأخطاء اللغوية والنحوية أذكر منها على سبيل المثال: تقديم التوكيد على المؤكد في أكثر من جملة كما في مثل قوله: "كنفس العمل الذي يأتيه سكان هذه المباني، ونفس العمل الذي يأتيه الكادحون في الأرض" وكان الصواب أن يقول "كالعمل نفسه الذي يأتيه سكان هذه المباني، والعمل نفسه الذي يأتيه الكادحون في الأرض".



## الفصل الثاني

### نصوص للقراءة الجهرية، وموضوعات للمطالعة الصامتة

- ١- من الأمالي لأبي علي القالي: في الدعوة إلى السلام لمرثد الخير بن ينكف.
- ٢- من الأمالي لأبي علي القالي: في الرحلة إلى الإيمان لِحُثَايِرِ بن التوأم الحميري.
- ٣- من الأمالي لأبي علي القالي: في العتاب والفخر لذي الأصبغ العذواني.
- ٤- من رجالات العرب: للدكتور نبيل محمد رشاد
  - قس بن ساعدة الأيادي الخطيب المفوّه.
  - الأحنف بن قيس الحلِيم الناصح للحاكم والمحكوم.
- ٥- كتاب أمهات النبي ﷺ للدكتور نبيل محمد رشاد

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة
7	.....	7
8	.....	8
11	.....	11
14	.....	14
17	.....	17
21	.....	21
24	.....	24
26	.....	26
27	.....	27
28	.....	28
29	.....	29
30	.....	30
31	.....	31
32	.....	32
33	.....	33
34	.....	34
35	.....	35
36	.....	36
37	.....	37
38	.....	38
39	.....	39
40	.....	40
41	.....	41
42	.....	42
43	.....	43
44	.....	44
45	.....	45
46	.....	46
47	.....	47
48	.....	48
49	.....	49
50	.....	50
51	.....	51
52	.....	52
53	.....	53
54	.....	54
55	.....	55
56	.....	56
57	.....	57
58	.....	58
59	.....	59
60	.....	60
61	.....	61
62	.....	62
63	.....	63
64	.....	64
65	.....	65
66	.....	66
67	.....	67
68	.....	68
69	.....	69
70	.....	70
71	.....	71
72	.....	72
73	.....	73
74	.....	74
75	.....	75
76	.....	76
77	.....	77
78	.....	78
79	.....	79
80	.....	80
81	.....	81
82	.....	82
83	.....	83
84	.....	84
85	.....	85
86	.....	86
87	.....	87
88	.....	88
89	.....	89
90	.....	90
91	.....	91
92	.....	92
93	.....	93
94	.....	94
95	.....	95
96	.....	96
97	.....	97
98	.....	98
99	.....	99
100	.....	100



## -١-

## من الأمالي لأبي علي القالي

## في الدعوة إلى السلام لمرثد الخير بن ينكف

روى أبو علي القالي في أمالية قال: "وحدثنا أبو بكر - رحمه الله - قال: حدثنا السكن بن سعيد الجرهموزي عن محمد بن عبادة عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان مرثدُ الخير بن ينكفَ بن نوف بن معدٍ يكرب ابن مَضْحِي قَيْلا<sup>(١)</sup>، وكان حَدْبًا على عشيرته، محبًا لصلاحهم، وكان سُبَيْعُ بنُ الحارث أخو عَلس - وعَلس هو ذو جَدَن - وميثم بن مَثُوب بن ذي رَعِين تنازعاُ الشرف حتى تشاحنا، وخيف أن يقع بن حَيْنِها شَرٌّ فيفتاني جِذْمَاهِما<sup>(٢)</sup>، فبعث إليهما مرثد ليُصلح بينهما فقال لهما: إن التخبط<sup>(٣)</sup>، وامتطاء الهجاج<sup>(٤)</sup>، واستحقاب<sup>(٥)</sup> اللججاج<sup>(٦)</sup> سيفقكما على شفا هُوَّةٍ في توردها بوار الأصيلة، وانقطاع الوسيلة، فتلافيا<sup>(٧)</sup> أمركما قبل انتكاث<sup>(٨)</sup> العهد، والحلال العقد، وتشتت الألفة، وتباين

- 
- (١) القَيْلُ: الملك من ملوك حمير، وسُمِّيَ بذلك لأنه يقول ما يشاء فينفذ.  
 (٢) جذماهما: الجِذْمُ: الأصل، وجِذْمُ الرجل: أهله وعشيرته.  
 (٣) التخبط: ركوب الرجل رأسه في الشرِّ خاصة.  
 (٤) الهجاج: الرأي الذي لم يروُ فيه.  
 (٥) استحقاب: استفعالٌ من الحقيبة، أو من الحقاب، وعلى الأول فمعناه أنه جعل اللججاج في وعائه، وعلى الثاني فمعناه أنه احتزم به.  
 (٦) اللججاج: النزاع.  
 (٧) تلافيا: تداركا.  
 (٨) انتكاث: انتقاض.

السُّهْمَةُ<sup>(١)</sup>، وأتَمَّا فِي فَسْحَةِ رَافِهَةٍ<sup>(٢)</sup>، وَقَدَمَ وَاطِدَةً<sup>(٣)</sup>، وَالْمُودَةَ مَثْرِيَةً<sup>(٤)</sup>، وَالْبَقِيَا مَعْرُضَةً<sup>(٥)</sup>، فَقَدْ عَرَفْتُمْ أُنْبَاءَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ مِمَّنْ عَصَى النَّصِيحَ، وَخَالَفَ الرَّشِيدَ، وَأَصْغَى إِلَى التَّقَاطُعِ، وَرَأَيْتُمْ مَا آلَتْ إِلَيْهِ عَوَاقِبُ سُوءِ سَعِيهِمْ، وَكَيْفَ كَانَ صَيُورَ أُمُورِهِمْ، فَتَلَاوَفُوا الْقَرْحَةَ<sup>(٦)</sup> قَبْلَ تَفَاقُمِ الثَّأْيِ<sup>(٧)</sup>، وَاسْتَفْحَالَ الدَّاءَ<sup>(٨)</sup>، وَإِعْوَازَ الدَّوَاءِ<sup>(٩)</sup>، فَإِنَّهُ إِذَا سَفَكَتِ الدَّمَاءَ اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ، وَإِذَا اسْتَحْكَمَتِ الشَّحْنَاءُ تَقْضَبَتْ<sup>(١٠)</sup> عَرَى الْإِبْقَاءِ، وَشَمِلَ الْبَلَاءُ<sup>(١١)</sup>.

فَقَالَ سَبِيْعٌ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنْ عَدَاوَةُ بَنِي الْعِلَّاتِ<sup>(١٢)</sup> لَا تَبْرِئُهَا الْأَسَاءَةَ<sup>(١٣)</sup>، وَلَا تُشْفِيهَا الرُّقَاةَ، وَلَا تَسْتَقِلُّ بِهَا الْكِفَاةُ؛ وَالْحَسَدُ الْكَامِنُ هُوَ الدَّاءُ الْبَاطِنُ، وَقَدْ عَلِمَ بَنُو أَيْنَا هُوَ لَا أُنَا لَمْ رَدِّ<sup>(١٤)</sup> إِذَا رَهَبُوا، وَغِيثٌ إِذَا أَجْدَبُوا، وَعُضْدٌ إِذَا حَارَبُوا، وَمَقْزَعٌ إِذَا نُكِبُوا؛ وَإِنَّا وَإِيَّاهُمْ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

(١) السُّهْمَةُ: الْقَرَابَةُ.

(٢) رَافِهَةٌ: نَاعِمَةٌ.

(٣) وَاطِدَةٌ: ثَابِتَةٌ.

(٤) مَثْرِيَةٌ: مُتَّصِلَةٌ.

(٥) مَعْرُضَةٌ: مَحْكَمَةٌ.

(٦) الْقَرْحَةُ: الْجُرَاحَةُ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا الدَّاءُ.

(٧) الثَّأْيُ: آثَارُ الْجُرْحِ.

(٨) اسْتَفْحَالَ الدَّاءُ: اسْتَدَّادَهُ.

(٩) إِعْوَازَ الدَّوَاءِ: امْتِنَاعَ وَجُودِهِ.

(١٠) تَقْضَبَتْ: تَقَطَّعَتْ.

(١١) شَمِلَ الْبَلَاءُ: عَمَّ وَانْتَشَرَ.

(١٢) بَنُو الْعِلَّاتِ: إِذَا كَانُوا مِنْ أَبِي وَاحِدٍ لِأَمَهَاتٍ شَتَّى.

(١٣) لَا تَبْرِئُهَا: لَا تُشْفِيهَا، وَالْأَسَاءَةُ: الْأَطْبَاءُ، وَاحِدُهَا أَسِي.

(١٤) رَدِّ: عَوْنٌ.



إذا ما علّوا قالوا أبونا وأمنّا

وليس لهم عالين أم ولا أب

فقال ميثم: أيها الملك: إن من نَفَسٍ <sup>(١)</sup> على ابن أبيه الزعامة، وجَدَبَه <sup>(٢)</sup> في المقامة <sup>(٣)</sup>، واستكثر له قليل الكرامة كان قَرَفًا <sup>(٤)</sup> بالملامة، ومؤبًا على ترك الاستقامة، وإنا والله ما نعتدُّ لهم بيد إلا وقد نالهم منا كفاؤها، ولا نذكر لهم حسنة إلا وقد تطلع منا إليهم جزاؤها، ولا يتفياً لهم علينا ظلُّ نعمة إلا وقد قوبلوا بشرواها، ونحن بنو فحلٍ مُقَرَّم <sup>(٥)</sup> لم تقعد بنا الأمهات ولا بهم، ولم تُنزعنا أعراقُ السوء ولا إياهم، فعلام مطُّ الخدود، وخَزَرَ <sup>(٦)</sup> العيون، والجخيف <sup>(٧)</sup> والتصعُر، والبأو <sup>(٨)</sup> والتكبر؟ الكثرة عدد، أم لفضل جلد، أم لطول معتقد؛ وإنا وإياهم لكما قال الأول:

لاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ

عني، ولا أنت دِيَّاني فتخزونني <sup>(٩)</sup>

(١) نَفَسٌ عليه بكذا وكذا: ضَمُّ عليه به، ولم يجب أن يصل إليه.

(٢) جَدَبَته: عابه.

(٣) المقامة: المجلس.

(٤) قَرَفًا: جديرًا، ولا تستعمل إلا فيمن يستحق العقاب والمواخذه، أما من يستحق التكريم فيقال فيه جديرٌ، وحقيقٌ، وقمينٌ، وخليقٌ، وحرِيٌّ.

(٥) مُقَرَّم: سيّدٌ معظّم.

(٦) الخَزَرَ: النظر بمؤخر العين.

(٧) الجخيف: التهدُّد.

(٨) البأو: التكبر.

(٩) تخزونني: تقهرني وتسوسني، والبيت الذي الاصبغ العدواني، من نوثيته في عتاب شخص اسمه يدور عمرو. راجعها كاملة في المبحث الثالث من هذا الفصل.

ومقاطعُ الأمور ثلاثة: حربٌ مبيرة، أو سلمٌ قريرة، أو مداجاةٌ<sup>(١)</sup> وغفيرة<sup>(٢)</sup>.

فقال الملك: لا تُنشطوا<sup>(٣)</sup> عقلَ الشوارد، ولا تُلقحوا العون<sup>(٤)</sup> القواعد، ولا تُورثوا<sup>(٥)</sup> نيرانَ الأحقاد، ففيها المتلفة المستأصلة، والجائحة والأليلة<sup>(٦)</sup>، وعَفَوا بالحلْمِ أبلاد<sup>(٧)</sup> الكَلَم، وأنبوا إلى السبيل الأرشد، والمنهج الأqvصد، فإن الحرب تُقبِلُ بزبرج<sup>(٨)</sup> الغرور، وتُذيرُ بالويل والثبور، ثم قال الملك:

ألا هل أتى الأقوامَ بذلي نصيحةٌ      جَبوتُ بها مني سُبَيْعًا ومَيْمًا  
وقلتِ اعلمي أن التدابيرَ غَادَرَتِ      عواقِبُهُ للذُّلِّ والقُلِّ<sup>(٩)</sup> جُرْهُمَا  
فلا تُقَدِّحًا زَنَدَ العقوقِ وأبْقِيَا      على العِزَّةِ القَعَسَاءِ<sup>(١٠)</sup> أن تَتَهَدَّمَا  
ولا تُجَنِّبَا حربًا تُجرُّ عليكُمَا      عواقِبُهَا يومًا مِنَ الشَّرِّ أشْمَا  
فإنَّ جناةَ الحربِ للحينِ<sup>(١١)</sup> عَرْضَةٌ      تُفَوِّقُهُمُ<sup>(١٢)</sup> منها الدُّعَافُ<sup>(١٣)</sup> المُقَشَّمَا<sup>(١٤)</sup>  
حذارٍ فلا تُسْتَنْبِئُوها<sup>(١٥)</sup> فإنها      تُعَادِرُ ذَا الأنفِ الأشَمَّ مُكَشَّمَا<sup>(١٦)</sup>

(١) المداجاة: المساترة.

(٢) الغفيرة: الغفران.

(٣) لا تنشطوا: لا تعقدوا.

(٤) العون: جمع عوان وهي الحرب إذا قوتل فيها المرة بعد المرة.

(٥) لا تُورثوا: لا تذكوا.

(٦) الأليلة: الشكل.

(٧) أبلاد: آثار.

(٨) الزبرج: السحاب.

(٩) الذُّلُّ: الذلَّةُ، والقُلُّ: القِلَّةُ.

(١٠) القعساء: الثابتة.

(١١) الحين: القتل، والموت، والميئة.

(١٢) تُفَوِّقُهُمُ: تسقيهم.

(١٣) الدُّعَافُ: السُّمُّ.

(١٤) المقشَّم: المخلوط.

(١٥) لا تستنبئوها: لا تثيروها.

(١٦) المكشَّم: المقطوع.

-٢-

## من الأمالي لأبي علي القالي

### في الرحلة إلى الإيمان لخنافر بن التوأم الحميري

روى أبو علي القالي في أماليه قال: "وحدثنا أبو بكر قال: حدثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي عن أبيه قال: كان خنافر بن التوأم الحميري كاهنًا، وكان قد أوتِيَ بَسْطَةً في الجسم، وَسَعَةً في المال، وكان عاتياً<sup>(١)</sup>، فلما وَفَدَتْ وفودُ اليمن على النبي ﷺ، وظهر الإسلامُ أغَارَ على إيلٍ لمرادٍ<sup>(٢)</sup> فاكْتَسَحَهَا<sup>(٣)</sup>، وخرج بأهله وماله، وَلَحِقَ بالشَّخْرِ<sup>(٤)</sup>، فحالف جودان بن يحيى الفِرْضَمِي، وكان سَيِّدًا منيعًا، ونزل بوايدٍ من أودية الشحر مخصب كثير الشجر من الأيكِ والعرين<sup>(٥)</sup>، قال خنافر: وكان رأيي<sup>(٦)</sup> في الجاهلية لا يكادُ يتغيَّبُ عني، فلما شاع الإسلامُ فقدتهُ مدةً طويلاً، وساءني ذلك، فبينما أنا ليلةً بذلك الوادي نائمًا إذ هَوَى<sup>(٧)</sup> هَوِيَّ العَقَابِ<sup>(٨)</sup> فقال: خنافرا، قلت: شصار؟ فقال: اسمع أقل، قلت: قل أسمع،

(١) عاتياً: ظالمًا، من العتو، وهو تجاوز الحد في الظلم.

(٢) مراد: شخص كان قد عتا وخرج عن مألوف عادات قومه، ونبهة أهله، وكوّن قبيلة كان هو آباؤها.

(٣) اكتسحها: كسها إذ الكسح هو الكس، والمقصود أنه لم يترك منها شيئًا دون أن يأخذه.

(٤) الشَّخْرُ: ساحل البحر بين عُمان وَعَدَن.

(٥) الأيك: الشجر الكثير الملتف، واحده أيكة، والعرين: جماعة الشجر.

(٦) الرئي: كَغَنِي، ويكسر: جئِي يُرَى فَيُحَبَّب.

(٧) هوى: نزل وسقط.

(٨) العقاب: طائر معروف.

فقال: عه<sup>(١)</sup> نَعْتَمُ، لكل مدة نهاية، وكلُّ ذي أمدٍ إلى غاية، قلت: أجل، فقال: كلُّ دولة إلى أجل<sup>(٢)</sup>، ثم يُتأخَّر لها حَوْلٌ<sup>(٣)</sup>، انْتَسَحَتْ النُّحْلُ<sup>(٤)</sup>، ورجعت إلى حقائقها الملل<sup>(٥)</sup>، إنك سَجِيرٌ<sup>(٦)</sup>، موصول؛ والنصحُ لك مبذول؛ وإني آنست<sup>(٧)</sup> بأرض الشام نفرًا<sup>(٨)</sup> من آل العُدَامِ<sup>(٩)</sup> حكامًا على الحكام، يذبرون<sup>(١٠)</sup> ذا رونق<sup>(١١)</sup> من الكلام، ليس بالشعر المؤلَّف، ولا السجع المتكلف، فأصغيتُ فزُجِرْتُ<sup>(١٢)</sup>، فعاودت فَظَلُفْتُ<sup>(١٣)</sup>؛ فقلت: يمُّ تُهَيِّمُونَ<sup>(١٤)</sup>، وإلام تُعْتَزُونَ<sup>(١٥)</sup>؟ قالوا: خطابٌ كَبَّارٌ، جاء من عند الملك الجبار، فاسمع يا شصار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الآثار، تنجُ من أوار النار<sup>(١٦)</sup>، فقلت: وما هذا الكلام؟

(١) عه: فعل أمر من وعى يعي بمعنى تَبَّهَ وَحَفِظَ.

(٢) أجل الأولى بمعنى نعم، وأجل الأخرى بمعنى زمن ومدة.

(٣) حَوْلٌ: التحول والزوال.

(٤) النُّحْلُ: جمع نِحْلَةٍ، والنحلة هي الدعوى من الادعاء، وتطلق على كل ديانة وضعية. والنسخ: الإزالة، والتغيير، والإبطال، وإقامة شيء جديد بعد ذلك.

(٥) الملل: جمع ملة، والملة: الشريعة أو الدين.

(٦) السَجِيرُ: الخليل الصَّفِيُّ، وتجمع على سَجْرَاءَ.

(٧) آنست: أَبْصَرْتُ.

(٨) نفرًا: نفر الجماعة من الرجال دون العشرة.

(٩) آل العُدَامِ: قبيلة من قبائل الجن.

(١٠) يَذْبَرُونَ: يقرأون، ويزبرون: يكتبون.

(١١) رونق: حُسْنٌ.

(١٢) أصغيتُ: استمعتُ، وزُجِرْتُ: نُهَيْتُ.

(١٣) ظَلُفْتُ: مُنِعْتُ.

(١٤) تُهَيِّمُونَ: الهيمنة الصوت الحَفِيَّةُ، والهيئوم الكلام الذي لا يُفْهَمُ، وشصار يسأل النفر من آل

العدام عن حديثهم الخافت الذي لم يستطع أن يفهم منه شيئًا.

(١٥) تعتزون: تنتسبون.

(١٦) أوار النار: سعيرها.

فقالوا: فرقانٌ بين الكفر والإيمان، رسولٌ من مُضَرٍّ، من أهل المدر، ابْتَعَثَ فَظَهَرَ، فجاء بقول قد بَهَرَ<sup>(١)</sup>، وأوضح نهجاً قد دَثَرَ<sup>(٢)</sup>، فيه مواعظٌ لمن اعتبر، ومعادٌ لمن ازدجر<sup>(٣)</sup>، أَلْفَ بِالْأَيِّ الْكَبِيرِ؛ قلتُ: ومن هذا المبعوثُ من مضر؟ قال: أحمدُ خيرُ البشر، فَإِنْ آمَنْتَ أُعْطِيتَ الشَّبْرَ<sup>(٤)</sup>، وَإِنْ خَالَفتَ أَصْلَيْتَ سَقَرًا؛ فَأَمَنْتَ يَا خِنَافِرَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ أَبَادِرَ، فَجَانِبَ كُلِّ كَافِرٍ، وَشَايَعَ كُلِّ مُؤْمِنٍ طَاهِرٍ، وَإِلَّا فَهُوَ الْفِرَاقُ، لَا عَن تَلَاقٍ؛ قلتُ: ومن أين أبغي هذا الدين؟ قال: من ذاتِ الإِحْرَيْنِ، والنفر اليمانيين، أهل الماء والطين؛ قلتُ: أوضح، قال: الحق بيثرب ذاتِ النخل، والحِجْرَةَ<sup>(٥)</sup> ذاتِ النَّعْلِ<sup>(٦)</sup>، فهناك أهلُ الطُّولِ والفضل، والمواساة والبذل؛ ثم أمْلَسَ عَنِي<sup>(٧)</sup> فیت مذعورا أراعي الصباح<sup>(٨)</sup>، فلما برق لي النورُ امتطيتُ راحلتي<sup>(٩)</sup>، وَأَذْنْتُ أَعْبِدِي<sup>(١٠)</sup>، واحتملتُ بأهلي<sup>(١١)</sup> حتى وَرَدْتُ الجوفَ، فَرَدَدْتُ الْإِبِلَ عَلَى أَرْبَابِهَا بِجَوْلِهَا وَسِقَابِهَا<sup>(١٢)</sup>، وَأَقْبَلْتُ أَرِيدُ صِنْعَاءَ،

(١) بهر: أضاء، وأعجب.

(٢) دثر: قَدَمٌ، وَدَرَسَ.

(٣) مَعَاذٌ: مَلْجَأٌ، وَازْدَجَرَ: انْتَهَى وَامْتَنَعَ.

(٤) الشَّبْرُ: الْحَيْرُ.

(٥) الْحِجْرَةُ: أَرْضٌ ذَاتُ حِجَارَةٍ نَخْرَةٌ سَوْدٌ، وَهِيَ مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْعَقِيقِ، وَقِيلَ: ظَاهِرُ الْمَدِينَةِ، وَقِيلَ: قَبْلِيُّ الْمَدِينَةِ.

(٦) النَّعْلُ: الْقِطْعَةُ الْغَلِيظَةُ مِنَ الْأَرْضِ، يَبْرُقُ حِصَاها وَلَا تَنْتَبِ.

(٧) أمْلَسَ عَنِي: اخْتَفَى، وَلَمْ يَرْجِعْ.

(٨) أَرَاْعِي الصَّبَاحَ: أَرَاقِبُهُ.

(٩) امْتَطَيْتُ رَاحِلَتِي: رَكِبْتُ نَاقَتِي.

(١٠) أَذْنْتُ أَعْبِدِي: أَخْبَرْتُ عِبِيدِي، وَأَعْلَمْتَهُمْ لِلتَّهْيُؤِ لِلسَّفَرِ.

(١١) احْتَمَلْتُ بِأَهْلِي: مَرَّتْ بِهِمْ.

(١٢) بِجَوْلِهَا وَسِقَابِهَا: الْحَوْلُ جَمْعُ حَائِلٍ، وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْإِبِلِ سَاعَةٌ تَوْلِدُ الْقَامُوسَ الْحَمِيْطَ:

٣/٣٥٣، وَالسَّقَابُ: جَمْعُ سَقَبٍ، وَهُوَ الذَّكَرُ مِنَ الْإِبِلِ سَاعَةٌ يَوْلِدُ الْقَامُوسَ الْحَمِيْطَ:

١/٨٢.

فأصببت<sup>(١)</sup> بها معاذَ بنَ جبَلٍ أميراً لرسول الله ﷺ، فبايعتهُ على الإسلام، وعلمني سوراً من القرآن؛ فمنَّ اللهُ عليَّ بالهدى بعد الضلالة، والعلم بعد الجهالة؛ وقلتُ في ذلك:

أَلِمْتُ رَأَى اللهُ عَادَ بِفَضْلِهِ  
وَكَشَفَ لِي عَن جَحْمَتِي<sup>(٣)</sup> عَمَاهُمَا  
دَعَانِي شَصَارٌ لَلَّتِي لَو رَفَضْتُهَا  
فَأَصْبَحْتُ وَالْإِسْلَامَ حَشُو جَوَانِحِي  
وَكَانَ مُضِلِّي مَن هُدَيْتُ بِرُشْدِهِ  
نَجَوْتُ بِحَمْدِ اللهِ مِنْ كُلِّ فُحْمَةٍ<sup>(٧)</sup>  
وَقَدْ أَمَنَّتْنِي بَعْدَ ذَلِكَ يُحَابِرُ  
فَمَنْ مَبْلُغٌ فَيَانِ قَوْمِي الْوَكَّةَ<sup>(١٠)</sup>  
عَلَيْكُمْ سَوَاءَ الْقَصْدِ لَا فُلٌ حَدُّكُمْ

فَأَلْقَدَ مِنْ لَفْحِ الزُّخَيْخِ<sup>(٢)</sup> خُنَافِرَا  
وَأَوْضَحَ لِي نَهْجِي وَقَدْ كَانَ دَائِرَا  
لَأَصْلِيَتْ حَمْرًا مِنْ لَظِي الْهُوبِ<sup>(٤)</sup> وَاهِرَا<sup>(٥)</sup>  
وَجَانِبْتُ مِنْ أَمْسِي عَنِ الْحَقِّ نَائِرَا<sup>(٦)</sup>  
فَلَلَّهُ مَعُو عَادَ بِالرُّشْدِ أَمِيرَا  
تَوَرَّتْ هُلْكَأً<sup>(٨)</sup> يَوْمَ شَايَعْتُ شَاصِرَا<sup>(٩)</sup>  
بِمَا كُنْتُ أَغْشَى الْمُنْدِيَاتِ يُحَابِرَا  
يَأْتِي مِنْ أَقْتَالِ<sup>(١١)</sup> مَنْ كَانَ كَافِرَا  
فَقَدْ أَصْبَحَ الْإِسْلَامَ لِلْكَفْرِ قَاهِرَا

(١) فأصببت بها معاذ بن جبل: أي وجذتُ بها معاذ بن جبل.

(٢) الزخبيخ: النار.

(٣) جحمتي: عينا.

(٤) الهوب: النار.

(٥) واهرا: الواهر الهواء الساكن مع شدة الحر.

(٦) نائرا: نافرا هائجا.

(٧) فحمة: شدة.

(٨) تورَّتْ هُلْكَأً: أي تجعل الهلاك من إرثي، والإرث هو الميراث، والنصيب.

(٩) شايعت: أثبتت، وناصرت.

(١٠) الوكة: رسالة.

(١١) أقتال: الأقتال جمع قتل بكسر القاف، وهو العدو والمقاتل. القاموس المحيط ٤/ ٣٥.

-٣-

## من الأمالي لأبي علي القالي

## في العتاب والفخر لذي الإصبع العدواني(\*)

- ١ يا مَنْ لِقَلْبِ طَوِيلِ الْبَثِ<sup>(١)</sup> عَزُونَ  
 ٢ أَمْسَى تَذَكَّرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا شَحَطْتُ<sup>(٢)</sup>  
 ٣ فَإِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أَمْسَى لَنَا شَجْنَا<sup>(٣)</sup>  
 ٤ فَقَدْ غَنِينَا<sup>(٤)</sup> وَشَمِلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا  
 ٥ نُرْمِي الْوَشَاةَ فَلَا نُحْطِي<sup>(٥)</sup> مَقَاتِلَهُمْ  
 ٦ وَلِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ  
 أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيَا أُمَّ هَارُونَ  
 وَالدهرُ ذُو وَغَلْظَةٍ حِينًا وَذُولِينَ  
 وَأَصْبَحُ الْوَأْيِ<sup>(٦)</sup> مِنْهَا لَا يُوَاتِنِي<sup>(٧)</sup>  
 أَطِيعُ رِيَا، وَرِيَا لَا تُعَاصِمِي  
 بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ<sup>(٨)</sup>  
 مُخْتَلِفَانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِبِي<sup>(٩)</sup>

(\*) هو حرثان بن مُحَرَّث، شاعر جاهلي قديم، عَمَّرَ طويلا، ومات قبل الإسلام.

(١) البث: أشدُّ الحزن، والشاعر يأسى على قلبه الذي استولى عليه الحزن والكمد بعد أن تذكر محبوبته أُمَّ هَارُونَ.

(٢) شحطت: بَعَدْتُ

(٣) شجنا: الشَجْنُ الهم والحزن.

(٤) الوأي: الوعد.

(٥) لا يواتني، وفي رواية يواتني، والمقصود أنها أصبحت تُخَلِّفُ الوعد، ولا تفي به.

(٦) غنينا: أقمنا وعشنا. القاموس المحيط ٤/ ٣٦٤.

(٧) فلا نحطي: الأصل فلا لنحط، وحذفت الهمزة لضرورة الشعر.

(٨) استهلَّ الشاعر قصيدته بالغزل على عادة الجاهليين ليستميل القلوب، ولتصغى إليه الآذان، ثم انتقل بعد هذا البيت الخامس إلى العتاب والفخر.

(٩) خُلُقٍ: تُخَالِقُ وتعامل بيبي وبينه، وأقلية ويقليني: لا أرتاح لطريقته في الحياة، ولا يرتاح لطريقيتي فيها.

- ٧ أُرزِي<sup>(١)</sup> بنا أننا شالتُ نعامتُنَا<sup>(٢)</sup> فَخَالِي دَوْنَهُ بَلْ خِلْتُهُ دُونِي<sup>(٣)</sup>
- ٨ لَاهُ ابْنُ عَمِّكَ<sup>(٤)</sup> لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ<sup>(٥)</sup> عَنِّي وَلَا أَنْتَ دِيَانِي<sup>(٦)</sup> فَتَحْزُونِي<sup>(٧)</sup>
- ٩ وَلَا تَقْوَتْ عِيَالِي يَوْمَ مَسْغَبَةٍ<sup>(٨)</sup> وَلَا بِنَفْسِكَ فِي الْعِزَاءِ<sup>(٩)</sup> تُكْفِيَنِي
- ١٠ فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا بِنَقْصِي<sup>(١٠)</sup> فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِيَنِي<sup>(١١)</sup>
- ١١ وَلَا يُرِي فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنْقَصَةٌ وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيَنِي
- ١٢ لَوْلَا أَوْاصِرُ<sup>(١٢)</sup> قُرْبِي لَسْتُ تُحْفَظُهَا وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي مَوْلَى يُعَادِيَنِي
- ١٣ إِذَا بَرَيْتُكَ<sup>(١٣)</sup> بَرِيًّا لَا الْحِبَارَ لَهُ إِنْ الَّذِي يَقْبِضُ الدُّنْيَا وَيَسْطُهَا
- ١٤ اللَّهُ يَعْلَمُنِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ

(١) أُرزِي بنا: تُنْقِصُنَا وَعَابِنَا.

(٢) شالت: نعامتُنَا: افترقنا لفرقتنا، وذهاب عُرْنَا.

(٣) خَالَ: حَسِبَ أَوْ ظَنَّ، وَخَالِي دُونِي أَي تَوَهَّم أَنِّي أَقَلُّ مِنْهُ رَتْبَةً، وَذَلِكَ لِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَالِ، وَخَلْتُهُ دُونِي أَي وَالْحَقِيقَةُ أَنِّي أَرَاهُ أَقَلُّ مِنِّي لِأَنَّهُ عَارٍ مِمَّا أَتَحَلَّى بِهِ مِنَ الْحَلْمِ، وَالصَّبْرِ، وَلِيَنَّ الْجَانِبَ لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنْ أَهْلِي وَقَوْمِي.

(٤) لَاهُ ابْنُ عَمِّكَ: اللَّهُ ابْنُ عَمِّكَ.

(٥) الْحَسَبُ: الشَّرَفُ الثَّابِتُ فِي الْأَبَاءِ، أَوْ الدِّينِ، أَوْ الْكِرَامِ. الْقَامُوسُ الْحَيْطُ ١/ ٥٤.

(٦) دِيَانِي: مِنْ دَانَهُ بِمَعْنَى غَلِبَهُ وَقَهَرَهُ، وَفِي الْحَدِيثِ وَالِدِيَانُ لَا يَمُوتُ، وَالِدِيَانُ هُوَ اللَّهُ ﷻ لِأَنَّهُ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَلِأَنَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ عِزَّ شَأْنِهِ.

(٧) تَحْزُونِي: تُسِيرُنِي، وَتَسْوَسُنِي.

(٨) وَلَا تَقْوَتْ عِيَالِي: الْمَقْصُودُ وَلَا أَنْتَ تَقْوَتْ: أَي تُطْعِمُ، عِيَالِي مِنْ أَعْوَاهِمُ، وَالْمَسْغَبَةُ: الْمَجَاعَةُ مِنْ سَغَبٍ، وَسَغَبٌ، وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ سُورَةُ الْبَلَدِ، آيَةٌ رَقْمُ ١٤.

(٩) الْعِزَاءُ: السَّنَةُ الشَّدِيدَةُ.

(١٠) عَرَضَ الدُّنْيَا: التَّبَاهِي وَالتَّفَاخُرُ، بِمِنْقَاصِي: بِتَنْقِصِي وَشَتْمِي.

(١١) يُشْجِيَنِي: يُوَقِّعُنِي فِي الْحُزَنِ.

(١٢) أَوْاصِرُ قُرْبِي: عِلَاقَاتُ قُرَابَةٍ، جَمْعُ أَصْرَةٍ.

(١٣) بَرَيْتُكَ: قَطَعْتُكَ.



- ١٦ ماذا عَلَىٰ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي  
 ١٧ عَنِّي إِلَيْكَ فَمَا أُمِّي بِرَاعِيَةِ  
 ١٨ إِنِّي أَبِي أَبِي ذُو مَحَافِظَةٍ  
 ١٩ لَا يُخْرِجُ الْقَسْرَ<sup>(٣)</sup> مِنِّي غَيْرَ مَأْيِيَةِ<sup>(٤)</sup>  
 ٢٠ عَفٌّ يُوُوسُ<sup>(٥)</sup> إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ  
 ٢١ كُلُّ امْرِئٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ<sup>(٧)</sup>  
 ٢٢ وَاللَّهِ لَوْ كَرِهْتَ كَفَىٰ مُصَاحِبِي  
 ٢٣ إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بَدِي غَلَقِي  
 الأ أَحِبُّكُمْ إِذْ لَمْ تَحْبُـونِي  
 ترعى المخاض<sup>(١)</sup>، ولا رأى بمغبون<sup>(٢)</sup>  
 وابن أبي أبي من أبيين  
 ولا الين لمن لا يتغني ليني  
 هونا فلست بوقاف على الهون<sup>(٦)</sup>  
 وإن تخلق<sup>(٨)</sup> أخلاقا إلى حين<sup>(٩)</sup>  
 لقلت إذ كرهت قربي لها بيني<sup>(١٠)</sup>  
 عن الصديق، ولا خيري بمنون<sup>(١١)</sup>

(١) ترعى المخاض: قال أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري: أي لستُ بآبن أمة، ويقال إنه عرض به، وكان ابن أمة. قال الأصمعي وإنما خص رعية المخاض لأنها أشد من رعية غيرها، ولا يمتنهن فيها إلا من حقر ولم يئال به. شرح المفضليات، نشر مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٣٢٣.

(٢) مغبون: ضعيف، وتافه، وقد افتخر الشاعر في هذا البيت بأمه، وبآرائه الصائبة التي لا يتجاوزها الناس.

(٣) القسر: القهر، والعنف، والشدة.

(٤) مأية: من الإباء، وهو الرفض في شتم وأتفة.

(٥) العف هو العفيف، وهو الذي يكف عما لا يحل ولا يجمل، ويووس: قنوط، والياس ضد الرجاء، والمقصود أنه لا يرتجى شيئا عما عند الناس.

(٦) الهون، والهوان: المذلة.

(٧) شيمة الإنسان: طبعه الذي فطر عليه.

(٨) تخلق: على زنة تفعل، أي تحول عن طبعه، وتكلف ما ليس عنده من محمود الحلال.

(٩) إلى حين: إلى وقت معلوم، وزمن محدود.

(١٠) بيني: فعل أمر من بان بين، أي فارقي وارحلي.

(١١) الخير: المال، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ سورة العاديات، رقم الآية ٨،

ومنون: مقطوع، ومنه قول تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ سورة القلم، آية ٣، يقول الشاعر لا أغلق بابي في وجه الصديق ولا أبجل بشيء من مالي عنه.

- ٢٤ وما لساني على الأدنى<sup>(١)</sup> بمنطلقٍ  
 ٢٥ عندي خلأئقُ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ  
 ٢٦ وأنتم مَعَشَرَ زَيْدٍ على مائة<sup>(٢)</sup>  
 ٢٧ فَإِنْ علمتم سبيلَ الرُّشْدِ فانطلقوا  
 ٢٨ يارُبُّ ثوب<sup>(٣)</sup> حواشيه كأوسطه  
 ٢٩ يوماً شَدَدْتُ على فرغاءٍ فاهِقَةٍ<sup>(٤)</sup>  
 ٣٠ قد كنتُ أعطيكُم مالي وأمنحكُم  
 ٣١ يارُبُّ حَيٍّ شديدِ الشُّعْبِ<sup>(٥)</sup> ذي جَبِّ<sup>(٦)</sup>  
 ٣٢ رَدَدْتُ باطِلَهُمْ في رأسِ قائلهم  
 ٣٣ يا عمرو لو لُنتُ لي الفَيْتِي<sup>(٧)</sup> يَسْرًا



- (١) الأدنى: الأقل رتبة أو منزلة، ولعله يعني بها حفدته وخدمه، وعبيده وإمامه، والشاعر يريد أن يقول: إذا كانت هذه حالي مع هؤلاء فكيف تكون أخلاقي مع الأتراب والأنداد؟!.
- (٢) زيد على مائة: أي تزيدون على مائة.
- (٣) ثوب: سيف، وقد سُمِّيَ السيف ثوبًا لأن كل ذي سلاح بثوب إليه.
- (٤) الفرغاء: الطعنة التي تُحْدِثُ جرحًا كبيرًا واسعًا، والفاهقة التي تفهقُ بالدم.
- (٥) الشُّعْبُ: تهيجُ الشرِّ.
- (٦) ذو جَبِّ: ذو صياح وجلبة.
- (٧) الفَيْتِي: وجدتي.

## -٤-

## من رجالات العرب

## -١-

## قس بن ساعدة الإيادي

## الخطيب المفوه

هو قس بن ساعدة الإيادي حكيم العرب، وطيبها، وخطيبها المشهور الذي لا يشق له غبار، ولا يباريه مبار في فصاحته ولسنه، أورد له ابن عبدربه الأندلسي في كتابه 'العقد الفريد' فقرًا ومقطوعات من كلامه نستشف منها أنه كان راجح العقل، وافر الحلم، شديد الرأي، مقدمًا عند ملوك الناس، وقادة الشعوب في عصره، ووصفه ابن قتيبة في كتابه 'المعارف' بأنه كان موقنا بآيات الله، ولعل ابن قتيبة يقصد بهذا الوصف ما عرف عنه من عزوفه عن عبادة الأصنام، واعتقاده بأن هذا الكون لا بد أن يكون له خالق يتصف بالعظمة والقوة والجبروت، والحكمة والرحمة والعدل، وأن بني الإنسان لا بد أنهم صائرون إليه في نهاية المطاف ليحاسب كل واحد منهم عما عمل في حياته، ويثاب المحسن على إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته. روي ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم وفد إياد على رسول الله ﷺ فقال: أيكم يعرف قس بن ساعدة الأيادي؟ قالوا: كلنا يعرفه: قال: فما فعل؟ قالوا: هلك، قال: ما أنساه بسوق عكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول: من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ، إن في السماء لخبرًا، وإن في الأرض لغيرًا، سحائب تمور، ونجوم تغور، في فلك يدور، ويُقسِمُ قس قسما إن الله لدينا هو أرضى من دينكم هذا. ثم قال: ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟



## ٢٤

## الأحنف بن قيس

## الحليم الناصح للحاكم والمحكوم

هو صخر بن قيس بن معاوية بن حصن بن عباد بن مرة بن عبيد التميمي، أسلم، وأسلم معه قومه بإشارته ورأيه حين وفد إليهم الرسول ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، وظل بديار قومه لم يبرحها طوال حياة الرسول الكريم ﷺ ومدة خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، ولكنه خرج عن منهجه هذا في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، حيث تذكر المصادر التاريخية، والأدبية أنه وفد عليه، وجالسه، وكان عنده صاحب رأي ومشورة، ثم انخرط بعد ذلك مشاركاً في الحياة السياسية العربية حيث شهد مع الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وقعة صفين، إلا أنه لم يشهد وقعة الجمل مع أحد الفريقين المتنازعين، وكان كثيراً ما يفد على معاوية بن أبي سفيان بعدما تولى الخلافة مقدماً له النصح والرأي.

ولقد تحدث الإخباريون أنه كان مُعَمَّاً مُخَوَّلاً، وأنه كان يفاخر بذلك، فلقد كان عمه الأكبر المتشمس بن معاوية الذي وُصِفَ بأنه يزيد على الأحنف في حلمه، وكان خاله الأخطل بن قُريظ أحد شجعان العرب المعدودين، وكان الأحنف يباهي به في كل مجلس وناِدٍ ويقول: ومن له خالٌ مثل خالي.

ويبدو أن الأحنف بن قيس قد كان دميم الخلق، فقد نص الرواة على أنه كان صعل الرأس - أي دقيقها - أحجن الأنف، أغضف الأذن - أي مائلها في استرخاء ظاهر - متراكب الأسنان، أشدق - أي واسع الشدق -، ناتئ الوجه، أعور العين باختها، خفيف العارضين، أحنف الرجلين، ولكنه لم تمنعه هذه العيوب الخلقية من أن يكون سيِّداً في قومه، ومثله ينهض دليلاً على أن العرب قد بلغوا من الشرف والرفعة حدًا لم تستطع بلوغه إلى الآن المدينيات المعاصرة،

وآية ذلك أنهم وزنوا الرجال بالموازين الصحيحة العادلة، فليست العبرة بطول الإنسان وعرضه، ولا ببياض بشرته ووسامة خِلقته، وإنما العبرة بمكارم أخلاقه، ومحامد شيمه، على حين أن تلك المدينيات تعرف ألواناً من التمييز بين البشر على أساس اللون حيناً، وعلى أساس العرق حيناً، كما تعرف ألواناً من الفنون التي تقوم على السخرية من هؤلاء، والهزاء بهم عن طريق تضخيم معاييرهم الخلقية وإبرازها، وإضحاك الناس عليها.

على أن الأحنف بن قيس كان حريصاً على أن يبدو في أبهى صورة، وأنق حلة، وأجمل هيئة، وكان يحض الناس على التجميل، فمن أقواله الماثورة: استجدوا النعال فإنها خلاخيل الرجال، كما كان يوصي بالاهتمام بالصحة حتى يظل الإنسان قوياً متماسكاً قادراً على العمل والكسب، ومن أقواله في ذلك: الزم الصحة يلزمك العمل، وسئل يوماً: ما المروءة؟ فقال: العفة والحرفة، ومعنى هذا أن مروءة الرجل لا تكتمل عنده إلا بأمرين مهمين: الأول: أن يكون عفيفاً فاضلاً، لا ينظر إلى محارم الآخرين، ولا تتعلق نفسه بشيء من الخنا والفجور، والثاني: أن يكون له عمل يكتسب منه قوته، وقوت من يعول، ويكفه عن سؤال الناس.

ودخل الأحنف على معاوية بن أبي سفيان فأشار إلى الوساد فقال له: اجلس. فجلس على الأرض، فقال له معاوية: وما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال: يا أمير المؤمنين إن فيما أوصي به قيس بن عاصم المنقري ولده أنه قال: لا تُعشَّ السلطان حتى يملك، ولا تقطعه حتى ينسأك، ولا تجلس له على فراش ولا وساد، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين، فإنه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتَقَامَ له فيكون قيامك زيادة له، ونقصاً عليك، حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين. فقال معاوية: لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشي الكلم.



-٥-

## (كتاب أمهات النبي ﷺ لمحمد بن حبيب البغدادي) (\*)

نشرة د/ محمد عبدالقادر أحمد

دراسة في نقد الكتب، وأصول نشر التراث

-١-

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق هدفين اثنين: أولهما: - محاولة التعرف على الأصول النظرية المتعلقة بتحقيق التراث ونشره كما وضعها المستشرق الألماني برجستراسر، وإلى أي مدى يتم الالتزام بها وتطبيقها فيما يحقق وينشر من نصوص تراثية.

والهدف الآخر هو محاولة التعرف على الفروق المنهجية والإجرائية عند معالجة التراث العربي ونشره وذلك عند جيلين من المحققين والناشرين أولهما جيل الرواد من سدنة التراث العربي والإسلامي، والآخر جيل الدارسين من الأكاديميين والأساتذة الجامعيين.

وقد توصلت إلى تحقيق هذين الهدفين بدراسة نشرة كتاب أمهات النبي ﷺ لمحمد بن حبيب البغدادي المتوفي ٢٤٥هـ التي أخرجها الدكتور محمد عبدالقادر أحمد عام ١٩٨٢م بالقاهرة، ومقارنتها بالنشرة البغدادية التي أخرجها الدكتور حسين محفوظ عام ١٩٥٢م.

واستخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي حيث عنيت بوصف صنيع كل

من المحققين الجليلين في نشرهما للكتاب مع بيان ما يحمل هذا الصنيع بين جنباته من إيجابيات، وما ينطوي عليه من سلبيات.

## -٢-

نشر الدكتور محمد عبدالقادر أحمد كتاب أمهات النبي ﷺ لمحمد بن حبيب البغدادي محققاً في مكتبة النهضة المصرية، وصدرت طبعته الأولى عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، وقد جاء في اثنين وأربعين ومائة صفحة من القطع الصغير، ويشغل نص كتاب ابن حبيب المحقق الصفحات من الصفحة التاسعة والسبعين إلى الصفحة السابعة والتسعين من الكتاب.

ولهذا الكتاب مع الدكتور محمد عبدالقادر أحمد قصة، ذلك أن الدكتور حسين علي محفوظ الناشر الأول للكتاب كان قد أهدى نسخة من نشرته إلى المحقق العلامة الأستاذ عبدالسلام محمد هارون رحمه الله تعالى.

وظلت نشرة الدكتور محفوظ قابعة في مكتبة الأستاذ عبدالسلام هارون ردحاً من الزمن إلى أن وقع عليها الدكتور محمد عبدالقادر فأخذ يتصفحها ويقلبها، ويطيل النظر فيها إلى أن أدرك نفاستها وأهميتها، ورآها خالية من التحقيق، والتقديم، والدرس فرغب إلى أستاذه العلامة عبدالسلام هارون أن يعيره إياها ليعيد تحقيقها، ودرسها، ونشرها، وفي هذا يقول: "وقد سمح لي العلامة الأستاذ عبدالسلام هارون بتصوير هذه النسخة المطبوعة من كتاب أمهات النبي ﷺ والتي أهداها له الناشر الدكتور حسين علي محفوظ في ١٩/٦/٥٧، وأشهد أنني استفدت منها"<sup>(١)</sup>.

ويتابع الدكتور محمد عبدالقادر أحمد حديثه فيقول: "وبعد قراءتي لهذه النسخة ازداد تصميمي على طبع الكتاب بالأسلوب الذي رسمته، وبطريقة

(١) كتاب أمهات النبي ﷺ ص ٥٩.



التحقيق العلمي الذي تعلمناه، ونعلمه لتلاميذنا المبتدئين في الجامعة، أولاً لأن الكتاب جاء بطبع صورة المخطوطة، وثانياً لأننا لا نملك من هذه النشرة - فيما أعلم - سوى النسخة المهداة من المؤلف<sup>(١)</sup> للأستاذ عبدالسلام هارون، وثالثاً لأن هذه النشرة تمت في بغداد سنة ١٩٥٢م، أي مضى عليها تسعة وعشرون عاماً<sup>(٢)</sup>.

ولقد قام الدكتور محمد عبدالقادر أحمد بإعادة تحقيق الكتاب بالمنهج العلمي الذي تعلمه على أيدي رجال الطبقة الأولى من المحققين الجامعيين المصريين من أمثال العلامة عبدالسلام هارون - رحمه الله -، وسوف نُخصُّ هذا التحقيق بنقد مستقل فيما يأتي من صفحات هذا البحث.

وقدّم بين يدي التحقيق بحثاً كاشفاً عن المؤلف والمؤلف جاء في ست وسبعين صفحة جرى فيها الحديث عن المؤلف محمد ابن حبيب البغدادي من حيث اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، ومعاصريه من الأدباء والرواة، والعلماء من أمثال أبي زيد الأنصاري ت ٢١٥هـ، والأصمعي عبدالملك بن قريب ت ٢١٧هـ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ت ٢٢٣هـ، وابن الأعرابي ت ٢٣١هـ وغيرهم، ثم جرى الحديث بعد ذلك عن شيوخ ابن حبيب وتلاميذه، وعن كتبه، وقد وضعها في ثبوت مرتبا إياها على حروف المعجم، وموضحاً ما هو منها مخطوط لم يحقق بعد، وما هو مطبوع منها دون تحقيق علمي، وما هو محقق منها ومنشور، وما هو في حكم الضائع منها مما فقد مع ما فقدناه على مر الزمان من ذخائر تراثنا.

(١) هذا سهوٌ من الدكتور محمد عبدالقادر أحمد، وهو يقصد المحقق أو الناشر الدكتور حسين علي محفوظ.

(٢) كتاب أمهات النبي ﷺ ص ٥٩، ٦٠.

وتلا ذلك حديث عن وفاة محمد بن حبيب البغدادي، وحديث آخر عن مكانته العلمية.

ولقد جاء هذا الجزء الأول من الدراسة في سبع وثلاثين صفحة كان حرياً بالدكتور محمد عبدالقادر أحمد أن يجعل منها الفصل الأول من فصول الدراسة وأن يمنحه عنواناً جامعاً يضم شتى المسائل العلمية التي عرضناها قبل، وكان من الممكن أن يُسمى هذا الفصل: "محمد بن حبيب البغدادي من المهد إلى اللحد". ولي على هذا الجزء الأول من أجزاء الدراسة مجموعة من الملاحظات أبرزها في النقاط الآتية:-

أولاً: لقد صبغت المصادر التي ترجمت لمحمد بن حبيب البغدادي- على كثرتها- عن تحديد تاريخ ميلاد هذا المؤرخ الأديب، ولقد حاول الدكتور محمد عبدالقادر أحمد تحديد هذا التاريخ على وجه التقريب منطلقاً في ذلك من تحديد المؤرخين القدماء تاريخ وفاته، حيث أجمع مترجموه على أنه توفي لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائتين بسرّ من رأي في خلافة المتوكل<sup>(١)</sup>، ووجد الدكتور محمد عبدالقادر أن من أساتذة ابن حبيب البغدادي وشيوخه أبا اليقظان سحيم بن حفص الإخباري والنسابة المشهور المتوفي سنة ١٩١هـ، وافترض المحقق أن يكون ابن حبيب قد بدأ يلتحق بمجالس هذا الشيخ العلمية في هذا التاريخ، أي في عام ١٩١هـ، وافترض- أيضاً- أن تكون سن ابن حبيب في هذا الوقت خمس عشرة سنة، وخرج من هذين الفرضين بأنه من الممكن أن يكون ميلاد ابن حبيب دائراً بين عامي ١٧٥هـ، ١٧٦هـ، وبالتالي يكون قد عاش على مسرح الحياة مدة تصل إلى سبعين عاماً، ويكون قد عاصر فيها سبعة من الخلفاء العباسيين، وهم:-

(١) السابق نفسه ص ٦.

- هارون الرشيد ١٧٠هـ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م.
- الأمين ١٩٣ - ١٩٨هـ / ٨٠٩ - ٨١٣م.
- المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ / ٨١٣ - ٨٣٣م.
- المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢م.
- الواثق ٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧م.
- المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م<sup>(١)</sup>.

ومحاولة تحديد تاريخ ميلاد ابن حبيب بهذه الطريقة، وهذا الاستدلال عملٌ إيجابي في هذه الدراسة بلا ريب.

ثانيًا: ولقد صممت المصادر التي ترجمت لمحمد بن حبيب البغدادي - أيضًا - عن تحديد السنة التي انتقل فيها من بغداد إلى سُرٍّ من رأى، ويرى الدكتور محمد عبدالقادر أحمد أنه من الممكن أن يكون محمد بن حبيب قد انتقل إليها في العام نفسه الذي انتقل إليها فيه الخليفة العباسي المعتصم بالله، وهو عام ٢٢٠هـ، ويدلل الدكتور محمد عبدالقادر على صحة افتراضه هذا بما اشتهر عن محمد بن حبيب من كونه واحدًا من مؤدبي أولاد الخلفاء، وأبناء الأمراء في ذلك الزمان، ومن ثم فإن انتقال الخليفة والأمراء إليها كان يستلزم بالضرورة أن ينتقل إليها معهم مؤدبو أولادهم الذين يقف في مقدمتهم محمد بن حبيب.

وأشار المحقق إلى أن ابن حبيب البغدادي يكون قد قضى خمسة وعشرين عامًا في سُرٍّ من رأى من تاريخ انتقاله إليها حتى وفاته.

ومحاولة تحديد تاريخ انتقال ابن حبيب البغدادي إلى سُرٍّ من رأى، ومحاولة تحديد المدة الزمنية الكلية التي قضاها في هذه البلدة محاولة إيجابية بلا شك، وتعد من إضافات هذه الدراسة.

(١) السابق نفسه ص ٧.

ثالثاً: أورد الدكتور محمد عبدالقادر أحمد في سياق ترجمته لمحمد بن حبيب نصين ينسبان إلى زعيم مدرسة الكوفة النحوية أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب فيهما تعريض شديدٌ بصاحبنا، وزيارة عليه، والنص الأول منهما هو: يقول ثعلب: "حضرت مجلس ابن حبيب فلم يُملِّ، فقلت: ويحك! أملِّ، مالك؟! فلم يفعل حتى قمت<sup>(١)</sup>."

هكذا أورد الدكتور محمد عبدالقادر النص دون أن يعلق عليه بكلمة، وفي تصوري أن هذا النص يمكن أن يدل على معنيين:

الأول: أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب يريد أن يشير من طرفٍ خفيٍّ إلى أن العلماء الجدد كانوا يتهيبون الحديث إذا كان من بين مستمعهم هذا الحبر الكوفي إجلالاً منهم لمنزلته العلمية، وهذا المعنى لا أظنه كان وارداً على خاطر ثعلب وهو يصرِّح بهذه القالة.

الثاني: أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب كان يريد أن يصف محمد بن حبيب بالعي والحصر، واحتباس الكلام، وعدم القدرة على الإملاء على التلاميذ إما بسبب من ضعف جهاز النطق عنده، وعدم مقدرته على التكلم بطلاقة، وإما بسبب جهله، وقلة محفوظه من العلم، وهذا المعنى هو الذي أظن أنه كان دائراً بخلد ثعلب، وهو يدلي بهذا الكلام، ويؤكد هذا الظن عندي النص الآخر الذي أورده المحقق منسوباً إلى ثعلب أيضاً وهو: بلغني أن محمد ابن حبيب يملئ شعر حسان بن ثابت فأتيته، ولما عرف موضعي قطع الإملاء فانصرفت، وعدت إليه فترفت به فأملئ، وكان لا يقعد في المسجد الجامع فعذلته على ذلك، ولم أزل به حتى قعد في جمعة من الجمع، واجتمع الناس فسأله سائل عن هذه الأبيات:-

(١) السابق نفسه ص ١٠.

أزْحَنَةُ عُنِّي تَطْرِدِينَ تَبَدَّدَتْ      بِلِحْمِكَ طَيْرٍ طَرْنُ كُلِّ مَطِيرٍ  
قَفِي لَا تَزِلِّي زَلَّةً لَيْسَ بَعْدَهَا      حُبُورٌ وَزَلَّاتُ النِّسَاءِ كَثِيرٍ  
فَأِنِّي وَإِيَاهُ كَرِجْلِي نَعَامَةٌ      عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ غِنِيٍّ وَفَقِيرٍ  
فَفَسَّرَ مَا فِيهِ مِنَ اللُّغَةِ فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ: مَنْ غَنِيٌّ وَفَقِيرٌ وَكَانَ يَجِبُ أَنْ  
تَقُولَ: مَنْ غَنِيٌّ، وَفَقْرٌ فَاضْطَرَبَ فَقُلْتَ لِلسَّائِلِ: هَذَا غَرِيبُهُ، وَأَنَا أَنْوِبُ عَنْهُ،  
وَبَيَّنْتَ الْعِلَّةَ، وَأَنْصَرَفَ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ لِلْعَوْدِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ<sup>(١)</sup>.

ويشي هذا النص بمرص ثعلب على إحراج محمد بن حبيب مرتين:-

الأولى: عندما هرع أبو العباس إلى ابن حبيب بعد ما وصل إلى سمعه أنه  
يملي شعر حسان بن ثابت، ويشير النص إلى أن ابن حبيب لم يرتح إلى وجود  
ثعلب ضمن مستمعيه فكان يكف عن الحديث والإملاء.

والأخرى: عندما ذهب ثعلب إلى محمد بن حبيب وأخذ يلحُّ عليه أن يلقي  
درسه بالمسجد الجامع في بغداد، ويشير النص إلى أن ابن حبيب قبل مشورة  
ثعلب بعد لأي، وذهب إلى المسجد الجامع وهو غاصُّ بالمستمعين، وأخذ يملي  
على الجمهور شعر حسان إلى أن استوقفه سائلٌ وسأله عن غريب بعض أبياته،  
وهنا تدخل ثعلب بين السائل والمستول قائلاً: إن هذا من الغريب، وأنا أنوب  
عنه، وأخذ يبيِّن العلة في قول حسان من غنيٍّ وفقيرٍ، ويعرض على مستمعي ابن  
حبيب ما لديه من علم، وما عنده من معرفة، ولقد دفع هذا السلوك غير السوي  
من ثعلب أبا جعفر إلى الانصراف من المسجد الجامع، وعدم الجلوس فيه  
للإملاء على التلاميذ بعد ذلك، وحدثت الجفوة بين العالمين، ويحاول ثعلب أن  
يقنعنا بأنه هو الذي انقطع عن ابن حبيب، لكن الحقيقة الواضحة من سياق

(١) السابق نفسه ص ١١، ١٢.

الكلام أن أبا جعفر هو الذي انقطع عن هذه الشخصية المستفزة التي تتغيا تشويه صورة أي عالم ناشئٍ أمام متأدبة بغداد.

وفي تصوري أن الدافع الذي ألجأ ثعلبًا إلى سلوك هذه السبيل مع ابن حبيب، هو أن ثعلبًا كان زعيم المدرسة الكوفية في النحو العربي، على حين أن ابن حبيب كان نحوياً على مذهب البصريين، ومن ثمّ يمكن أن تمثل تصرفات ثعلب مع ابن حبيب صورة من صور المعارك الفكرية التي كانت دائرة في بغداد بين مدرستي النحو الكبيرتين في ذلك الزمان: المدرسة البصرية، والمدرسة الكوفية.

رابعاً: - ذهب الدكتور محمد عبدالقادر أحمد يدلّل على مكانة ابن حبيب العلمية في مجال التاريخ والأنساب، فذكر أن كتابه "المخبر" قد توارد عليه عدد من الجغرافيين والمؤرخين من مثل ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ الذي نقل فقرًا منه في "معجم البلدان"، وابن الأثير الجزري ت ٦٣٠هـ الذي نقل فقرًا منه في "أسد الغابة"، وابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ الذي اعتمد على ما به من معلومات تاريخية في الإصابة<sup>(١)</sup>.

وأقول: ليس المتأخرون وحدهم هم الذين اعترفوا بمكانة ابن حبيب ونقلوا عن كتبه، بل إن المتقدمين - أيضاً - قد تواردوا على كتبه، ونقلوا عنها نصوصاً كثيرة فيها هو ذا أبو الفرج الأصفهاني المتوفى في ٣٥٦هـ يأخذ عن كتاب المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، وأسماء من قُتِل من الشعراء لمحمد بن حبيب خبر اغتيال عبدالله بن موسى الهادي يقول: أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين قال حدثني أبو سعيد السكري عن محمد بن حبيب

(١) السابق نفسه ص ٣٨.

قال: كان عبدالله بن موسى الهادي معربداً، وكان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه، فأمر بأن يُحبسَ في منزله فلا يخرج منه، وأقعد على بابهِ حرساً ثمّ تدمّم من ذلك فأظهر له الرضا وصرف الحرس عن بابهِ، ثم نادمه فعربد عليه أيضاً وكلمهُ بكلام أحفظه، وكان عبدالله مغرمًا بالصيد، فأمر المأمون خادماً من خواص خدمه يقال له حسين فسمهُ في ذرّاج وهو بمرسى أباد، فدعا عبدالله بالعشاء، فاتاه حسين بذلك الدرّاج فأكله. فلما أحس بالسّم ركب في الليل وقال لأصحابه: هو آخر ما تروني. قال: وأكل معه من الدرّاج خادمان، فأما أحدهما فمات من وقته، وأما الآخر فبقي مدة ثم مات، ومات عبدالله بعد أيام<sup>(١)</sup>.

خامساً:- لم يفت الدكتور محمد عبدالقادر أحمد أن يشير في هذا الجزء الخاص بابن حبيب البغدادي من دراسته إلى الرأي الغريب الشاذ الذي طرحه الدكتور محمد حميد الله في كلمته التي اختتم بها نشرة كتاب المحبر والذي فحواه أن صاحبنا كان شيعياً.

وذكر الدكتور محمد عبدالقادر أن حميد الله يستند فيما ذكره عن شيعة ابن حبيب علي ما لاحظته من:-

أولاً: أنه لا يذكر اسم السيدة عائشة رضی الله عنها أبداً، وأنه كلما ذكر اسم أبي بكر أردفه برحمه الله، وهذا ما يفعله عندما يتحدث عن عمر بن الخطاب فإنه يتبع اسمه أيضاً برحمه الله.

ثانياً: أنه عندما يتحدث عن السيدة خديجة يتبع اسمها برضى الله عنها وعندما يتحدث عن سيدنا علي بن أبي طالب يتبع اسمه برضى الله عنه.

(١) الأغاني للأصفهاني ١٠/١٩٧.

ثالثاً: أنه أظن في الحديث عن خصال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الجاهلية<sup>(١)</sup>.

ومضى الدكتور محمد عبدالقادر يفنّد هذه الحجج وينفي شيعية ابن حبيب بقوله: وهذه القرائن التي أثبتتها حميد الله لا يمكن أن تقف دليلاً على شيعية ابن حبيب، وهي استنتاجات مبنية على الظن، ولا يدعمها الدليل القائم على النص الصريح بشيعة الرجل، فلم يذكر أحدٌ من القدماء الذين ترجموا له أنه كان شيعياً، أو من أهل التشيع، أو كان يقوى رأي الشيعة، وهي العبارات التي درج القدماء على أن يذكروها عند وجود شبهة في معتقد من يترجمون له<sup>(٢)</sup>.

وفي تصوري أن ما قام به الدكتور محمد عبدالقادر من نفي شيعية ابن حبيب البغدادي هو من أهم إيجابيات دراسته.

سادساً: - يجتزم المحقق هذا الجزء الخاص من دراسته عن ابن حبيب بالحديث من وفاته، ثم بحديث آخر عن منزلته العلمية<sup>(٣)</sup>، وكان يجب أن يتحدث عن المنزلة العلمية للمترجم له، ثم يتبعها بعد ذلك بالحديث عن وفاته.



ونأتي إلى القسم الثاني من أقسام دراسة المحقق ابن حبيب وكتابه حسب تصنيفي، وهو القسم الخاص بموضوع الكتاب، وفيه أثار المحقق إلى أن الكتاب كتاب أنساب، وليس كتاباً من كتب السيرة النبوية الشريفة.

ولقد جاء هذا القسم في تسع صفحات كاملة، وهو يُشكّل - في تصوري -

(١) كتاب أمهات النبي ﷺ ص ١٢، ١٣.

(٢) السابق نفسه ص ١٤.

(٣) ينظر في الحديث عن وفاة ابن حبيب السابق نفسه ص ٣٣ وما بعدها، وينظر في الحديث عن منزلته العلمية السابق نفسه ص ٣٧ وما بعدها.



الفصل الثاني من فصول الدراسة الكاشفة عن المؤلف والمؤلف، وتحدث فيه الكاتب عن الموضوعات الآتية:

١- نسب الرسول ﷺ.

٢- أهمية علم الأنساب.

٣- نفي ما ورد من أن النبي ﷺ كان يرى أن النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر.

٤- نظرة الخلفاء الراشدين للنسب.

والملاحظة الجوهرية على هذا القسم أن الكاتب كان عالة فيه على ما كتبه الإمام ابن حزم الأندلسي في مقدمة كتابه: "جمهرة أنساب العرب" حيث بإمكاننا أن نلاحظ لونين من ألوان الاتكاء على ما جاء في الجمهرة عند كتابة هذا البحث، أما اللون الأول فيتمثل في الأخذ والنقل الصريح عنها دون الإشارة إليها ويتجلى ذلك في موضعين:-

أولهما عند حديثه عن أهمية علم الأنساب في الإسلام حيث قال: "فالمسلم محتاج إلى معرفة أبيه وأمه، وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة، ليجتنب ما يحرم عليه من النكاح فيهم، وأن يعرف كل مَنْ يتصل به برحم توجب ميراثاً، أو تلزمه صلة، أو نفقة، أو معاودة، أو حكماً ما".

فهذا الكلام منقولٌ بنصه وفصه من الجمهرة دون أن يشير الكاتب إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

والموضع الآخر الذي نقل فيه الكاتب عن الجمهرة دون الإشارة إليها كان

(١) السابق نفسه ص ٤٥، ٤٦، ويقابل بما ورد في جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص ٢

بدءاً من منتصف السطر الرابع عشر إلى نهاية السطر السادس عشر، طبعة ذخائر العرب الجديد بتحقيق عبدالسلام محمد هارون.

عند حديثه عن كلام النبي ﷺ في الأنساب حيث قال: كان الرسول ﷺ يتكلم في النسب فمن قوله نحن بنو النضر بن كنانة، ويروي أنه ﷺ، ذكر أفخاذ الأنصار وفاضل بينهم، ثم قدم بني النجار، ثم بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن الخزرج، ثم بني ساعدة، ثم قال عليه السلام، وفي كل دور الأنصار خير، وذكر بني تميم، وبني عامر بن صعصعة وغطفان، وأخبر عليه السلام أن مزينة وجهينة وأسلم وغفار أخير منهم يوم القيامة، وذكر بني تميم وشهدتهم على الدجال، وأخبر عليه السلام أن بني العنبر بن عمرو بن تميم من ولد إسماعيل، ونسب الحبشة إلى أرفدة، ونادى قريشا بطناً بطنا وكل هذا علم نسب<sup>(١)</sup>.

وفي تصوري أن الدكتور محمد عبدالقادر أحمد كان بإمكانه أن يستفيد من كلام ابن حزم هذا فائدة جلى بدل أن يأخذ هذا الأخذ السافر، وذلك لو أنه ذكر الفقرة من كلام ابن حزم ثم أتبعها بالدليل عليها، فإن ابن حزم عندما قال "ويروي أنه ﷺ ذكر أفخاذ الأنصار وفاضل بينهم، ثم قدم بني النجار، ثم بني عبد الأشهل، ثم بني الحارث بن الخزرج، ثم بني ساعدة، ثم قال عليه السلام: وفي كل دور الأنصار خير" كان يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه وهو: "حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك عن أبي أسيد رضى الله عنه قال: قال النبي ﷺ خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير، فقال سعد: ما أرى النبي ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل: قد فضلكم على كثير<sup>(٢)</sup>".

وكان الإمام ابن حزم يشير أيضا إلى الحديث الذي رواه الإمام النسائي في

(١) السابق نفسه ص ٤٧، ويقابل بما ورد في جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ص ٤ بدءاً

من آخر السطر العاشر وحتى نهاية الصفحة.

(٢) صحيح البخاري ٤٠/٥ - ٤١.

سننه وهو أخبرنا محمد بن المثني عن محمد بن جعفر عن شعبة قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس عن أسيد قال: قال رسول الله ﷺ خير دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن خزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خير. قال: سعد: ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضل علينا فقيل قد فضلكم على كثير<sup>(١)</sup>.

وابن حزم عندما قال: "وذكر بني تميم، وبني عامر بن صعصعة وغطفان، وأخبر عليه السلام أن مزينة، وجهينة، وأسلم، وغفار خيرٌ منهم يوم القيامة" كان يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه وهو "حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال النبي ﷺ أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد، ومن بني عبدالله بن غطفان، ومن بني عامر بن صعصعة. فقال رجل: خابوا وخسروا فقال: هم خير من بني تميم، وبني أسد، وبني عبدالله بن غطفان، ومن بني عامر بن صعصعة"<sup>(٢)</sup>.

وابن حزم عندما قال: "وذكر بني تميم وشدهم على الدجال" كان يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام البخاري - أيضاً - وهو "حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: لا أزال أحبُّ بني تميم، بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: هم أشدُّ أمي على الدجال. وكانت فيهم سيئة عند عائشة فقال أعتقها فإنها من ولد إسماعيل، وجاءت صدقاتهم فقال: هذه صدقات قوم أو قومي"<sup>(٣)</sup>.

(١) السنن الكبرى للإمام النسائي ٩٠/٥.

(٢) صحيح البخاري ٢٢١/٤.

(٣) صحيح البخاري ٢١٢/٥.

وابن حزم عندما قال: ونسب الحبشة إلى أرفده<sup>١</sup> كان يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام البخاري - أيضا- في صحيحه وهو حدثنا يحيى بن بكر، حدثنا الليث عن عُقَيْل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أبا بكر ﷺ دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان وتضربان والنبي ﷺ مُتَغَشُّ بِثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال دعها يا أبا بكر فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى، وقالت عائشة: رأيت النبي ﷺ يسترني وهو ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم فقال النبي ﷺ: أمنا بني أرفدة يعني من الأيمن<sup>(١)</sup>.

وأرى أن ابن حزم كان يشير بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم ونادى قريشًا بطناً بطناً إلى الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري في تفسير قوله تعالى: (وانذر عشيرتك الأقربين) وهي: "حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت (وانذر عشيرتك الأقربين) جعل النبي ﷺ ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي ببطون قريش"<sup>(٢)</sup> ووقال لنا قبيصة: أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت (وانذر عشيرتك الأقربين) جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل"<sup>(٣)</sup>. وحدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: يا بني عبد مناف اشتروا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله، يا أم الزبير بن العوام عمة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد اشتريا أنفسكما

(١) السابق نفسه ٤ / ٢٢٥.

(٢) السابق نفسه ٤ / ٢٢٤.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

من الله، لا أملك لكما من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتما<sup>(١)</sup>.

كان هذا عن اللون الأول من لوني الاعتماد على ما جاء بجمهرة أنساب العرب في كتابة مواد هذا القسم من أقسام دراسة المحقق، وهو اللون الخاص بالأخذ والنقل عنها دون الإشارة إلى ذلك.

ونأتي إلى اللون الآخر من لوني الاعتماد على ما كتب ابن حزم في جهرته، وهو الخاص باستفادة الكاتب مما أورد ابن حزم من معلومات دون الإشارة إلى ذلك وقد تجلّى هذا في المواضع الآتية:

أولاً: عند حديثه عن أهمية علم الأنساب حيث استشهد بالآية نفسها التي استشهد بها ابن حزم على أهميته وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، واستشهد بالحديث نفسه الذي استشهد به ابن حزم وهو قول النبي ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم حبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأجل، مرضاة للرب»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا أباح كاتب الدراسة لنفسه أن يغير على أدلة الإمام ابن حزم، ولم يُعن نفسه بالبحث عن أدلة أخرى تؤيد دعوى هذا الإمام الجليل.

ولقد كان بمقدور الباحث أن يستشهد على أهمية علم الأنساب بمثل قوله

(١) السابق نفسه ٢٢٤ / ٤ - ٢٢٥.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ١٣، ويُنظر أمهات النبي ﷺ ص ٤٦، ويُقَابَل بما ورد في مقدمة جمهرة أنساب العرب ص ١.

(٣) يُنظر أمهات النبي ﷺ ص ٤٦، ويُقَابَل بما ورد في مقدمة جمهرة أنساب العرب ص ٢، ٣، ويلاحظ أن الباحث قد نقل الحديث، ولم ينقل سلسلة السند، كما يلاحظ أنه نقل في هوامشه تخريج العلامة أحمد محمد شاكر، والأستاذ ليفي بروفنسال للحديث دون الإشارة إلى جهديهما في ذلك.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَنْبَابِ \* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ \* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومثل قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَيُذِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup> ومثل قوله ﷺ  
أبن الأخت من القوم<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: عند حديثه عن نظرة الخلفاء الراشدين للنسب حيث ذكر أن عمر بن الخطاب كان يحض على تعلم الأنساب، وأنه هو وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب كانوا من أعلم الناس بالأنساب بعد أبي بكر الصديق، وأنهم ما فرضوا الديوان إذ فرضوه إلا على القبائل، ولولا علمهم بالأنساب ما أمكنهم ذلك، وهذه كلها معلومات مستمدة من كتاب ابن حزم دون أدنى إشارة إليه<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: عند حديثه عن علماء الأنساب في الجاهلية والإسلام حيث عدّ منهم الخلفاء الراشدين الأربعة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبا الجهم بن حذيفة العدوي، وجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وسعيد بن المسيب، وابنه محمد بن سعيد، والإمام الشافعي محمد بن إدريس، وبمقابلة هذا الحديث على ما قاله الإمام ابن حزم في هذه الجزئية وجدنا تطابقاً تاماً بين القولين مما يدل على أن الكاتب قد استمد معلوماته مما ورد بجمهرة أنساب العرب، وليس عيباً أن يستفيد الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد مما ورد بهذا الكتاب، وإنما العيب في أنه لم يشر إلى ذلك<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الرعد ١٩- ٢١.

(٢) سورة النساء آية رقم ٣٦.

(٣) صحيح البخاري ١٠٩/٣.

(٤) يُنظر أمهات النبي ﷺ ص ٤٩، ويُقابل بما هو موجود في جمهرة أنساب العرب ص ٥.

(٥) يُنظر السابق نفسه ص ٥٠، ويُقابل بما هو موجود في جمهرة أنساب العرب ص ٥.

ثم إن هناك عيباً آخر يكمن في أن الباحث لم يصف على ما كتب في موضوعه من قبل، ولقد كان من الممكن أن يضيف لو أنه تحدث عن جهود أبي السائب هشام بن محمد الكلبي، وأبي بكر بن دريد الأزدي في علم الأنساب.

#### ـ ٤ ـ

والقسم الثالث من أقسام دراسة المحقق كان خاصاً بوصفه النسخة المخطوطة، ووصف النسخ الخطية له نظام ثابت، وأحسنه تقسيم الوصف إلى قسمين الأول: وصف مظهر النسخة، والثاني: وصف مضمونها<sup>(١)</sup>.

ووصف مظهر النسخة يقتضي الحديث عن أوراق النسخة من حيث عددها، وترقيمها إن كانت مرقمة، وترتيبها وعدد السطور في كل صفحة، وطول الصفحة وعرضها، ومساحة السطح المكتوب عليه منها، وهل الكتابة واضحة أو ممسوحة؟، ثم نتكلم إن كانت النسخة سليمة أو ممزقة، أو تشتمل على تخريم من أكل العث، وهل هي كاملة أو ناقصة؟ وهل النقص في أولها، أو في آخرها، أو في وسطها؟ وفي أي مكان من الوسط؟ ثم نصف الورق والتجليد<sup>(٢)</sup>.

ووصف مضمون النسخة يجب أن يحتوي على اسم الكتاب ومؤلفه وأين يذكر اسم الكتاب، أفي العنوان؟ أم في المقدمة؟ ... ويذكر أول الكتاب - بعد قول المؤلف أما بعد - وآخره، ونبيّن موضوعه، ونسرد أسماء أبوابه، ...، ثم تنتقل إلى الخط، فنذكر أسلوبه وكيفية تنقيطه وتشكيله، ونصف ما نشاهده فيه من الزخرفة، ...، ونقل ما كتبه مالك النسخة عليها، وما يوجد فيها من السماعات والخواتم، ونذكر في آخر الوصف اسم الكتاب وموضع نسخه

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب، بروجستراشر، أعدها وقدم لها محمد حمدي البكري مطبعة دار

الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ص ١١٤.

(٢) السابق نفسه ص ١١٤.

للكتاب، وتاريخ ذلك، وما يذكره الكاتب عن الأصل الذي نسخ عنه، ...،  
ونبيّن إملاء النسخة وخصائصها التي تنفرد بها، ونحكم هل هي صحيحة أو  
مغلوطة أو متوسطة<sup>(١)</sup>.

ولقد تحدث الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد عن مظهر النسخة المخطوطة،  
وعن مضمونها، وكان في هذا الحديث عالية على الناشر الأول للكتاب  
الدكتور/ حسين علي محفوظ، والدليل على ذلك قوله في الكلام عن عدد  
صفحات النسخة، وطول كل صفحة وعرضها، وعدد السطور فيها<sup>١</sup> وتضم  
النسخة ثمان صفحات، وتشتمل كل صفحة على ١٥ سطراً، وجاء في وصف  
هذه النسخة أن طول أوراق أصلها القديم ٦, ٢٣ ستيماً في عرض ٩, ١٥،  
وطولها الآن ٢, ٢٤ فقد ألصقت بأوراقها حاشية من الطرف الأعلى<sup>(٢)</sup>.

وهذا الوصف منقول بنصّه عن الدكتور/ حسين علي محفوظ مع ملاحظة  
أن الدارس قد قدّم وأخر في بعض العبارات، وتحدث عن عمل الدكتور/  
محفوظ بالتجهيل تعمية على القارئ، وصرفاً له عن المقابلة بين النشرتين<sup>(٣)</sup>.

ويقول في الكلام عن الحبر الذي كُتبت به النسخة كما جاء في وصفها أن  
لون الحبر أسود ناصب يميل إلى لون البن من تقادم العهد، وأن الفواصل مكتوبة  
بالحمر<sup>(٤)</sup>.

وهذا الوصف منقول أيضاً عن الناشر الأول للنص، وليس للناشر الثاني  
منه إلا العبارة الدالة على الحديث عن عمل الناشر الأول بالتجهيل.

وعند الحديث عن خط النسخة قال الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد وخط

(١) السابق نفسه ص ١١٤، ١١٥.

(٢) أمهات النبي ﷺ ص ٥٥، ٥٦.

(٣) أمهات النبي ﷺ، نشرة حسين علي محفوظ ص ٥.

(٤) أمهات النبي ﷺ، نشرة د. محمد عبد القادر، مصدر سابق ص ٥٦.



النسخة بقلم نسخي جيد، تقرب بعض حروف من الثلث، ويبدو أن كاتبها كان من أهل الأدب والضبط والإتقان، وقد جاء طرفٌ من نسبه في عمدة الطالب ص ٢٢٧، وبحر الأنساب ١٢٦، وكتاب الأنساب للسيد عدنان البحراني ت ١٣٤٠هـ ولم نجد أثرًا لترجمته، ويضم كتاب أعيان الشيعة ج ٢٢ / ٤٤٤-٤٤٥ ترجمة رقمها ٤٣٩٧ نقلها السيد الأمين من الرياض لمرزا عبد الله ت ١٢٠هـ وينفأ أخاها له<sup>(١)</sup>.

وهذه الفقرة مأخوذة من مقدمة الدكتور حسين علي محفوظ حيث لُفق الباحث بين عددٍ من جمل الدكتور محفوظ وعباراته ليكون منها الفقرة التي أمامنا فقوله: "تقرب بعض حروفه من الثلث" هو نص كلام الدكتور محفوظ في وصف خط النسخة الوارد بالفقرة الثالثة من الصفحة الخامسة من مقدمته<sup>(٢)</sup>، وقوله "وكاتبها من أهل الأدب والضبط..." إلخ الفقرة هو نص كلام الدكتور محفوظ في الحديث عن كاتب النسخة الوارد بالصفحة السادسة من مقدمته.

وعند الحديث عن خصائص رسم النسخة يقول الدكتور محمد عبد القادر وقد حرص كاتب النسخة على طبعها<sup>(٣)</sup> "بالشكل الكامل، كما أمعن في إعجام الحروف، وضبط الأسماء، فكتب تحت الحاء المهملة حاءً صغيرة، كيلا تصحف حاءً معجمة، ولا جيماً منقوطة، وخصَّص العين المهملة فكتب تحتها عيناً صغيرة ليأمن تصحيفها غيئاً معجمة، وميز السين والراء المهملتين بقوس صغيرة فتحتها من فوق.

ومن خصائص رسم هذه النسخة أن الكاتب أتبع واو (بنو) ألفاً

(١) أمهات النبي ﷺ، نشرة د. محمد عبد القادر، مصدر سابق ص ٥٤، ٥٥.

(٢) أمهات النبي ﷺ، نشرة د. حسين علي محفوظ، مصدر سابق ص ٥.

(٣) لعله كان يريد أن يقول: ضبطها.

(الورقة ٤/ ب س ٤) خلافاً للمعروف. ولم يرسم (ابن) بالألف وإن كانت في رأس السطر وفاقاً لما قرره ثقات الكتاب. ورسم الألف الممدودة هكذا (أ) الورقة (١/ ب س ٣) والورقة (٤/ ب س ٨)، وخالف نفسه فرسمها (آ) في الورقة (١/ أ س ٢).

وهكذا الكلام الذي وضعته بين علامتي تنصيص منقولٌ كله عن الدكتور حسين علي محفوظ دون أدنى إشارة إلى ذلك.

وليس عيباً أن يأخذ عالم متأخر عن عالم متقدم لا سيما في تلك المعارف النقلية والوصفية التي لا يستطيع أن يقول فيها المتأخرون شيئاً يزيد على ما قاله فيها المتقدمون، ولكن العيب يكمن في عدم إرشاد القارئ إلى مواضع الاقتباس والنقل.

ولا يشفع للدكتور محمد عبدالقادر عندي أنه قال: "وقد سمح لي العلامة عبدالسلام هارون بتصوير هذه النسخة المطبوعة... والتي أهداها له الناشر الدكتور حسين محفوظ... وأشهد أنني استفدت منها"<sup>(١)</sup>. وذلك لأن هذا من الكلام العام، وكانت الأمانة العلمية تقتضي أن يفصّل القول في وجوه الاستفادات المتعددة التي أفادها من هذه النشرة، وأن يشير في هوامشه إليها كلما أخذ عنها.

ويتميز وصف النسخة عند الدكتور محمد عبدالقادر أحمد بميزتين:

أولاهما: أنه التزم بما أوجبه المستشرق الألماني برجستراشر من ضرورة أن يحتوي وصف مضمون النسخة على اسم الكتاب ومؤلفه، وأين يذكر اسم الكتاب... إلخ وأن يحتوي أيضاً على اسم مالك النسخة وما عليها من

(١) السابق نفسه ص ٥٩.

سماعات وخواتم... إلخ، وذلك حيث وصف صفحة الغلاف على هذا النحو  
قائلاً:

وتتضمن صفحة الغلاف اسم الكتاب واسم مؤلفه والرواية والسماع على  
النحو التالي:

كتاب أمهات النبي ﷺ

عن أبي جعفر محمد بن حبيب

كان على النسخة المنقول منها ما هو صورته

رواية أبي الحسن أحمد بن محمد بن الجهم السمرى

نسخ من نسخته بخطه

سماع على بن محمد الأسدي.....<sup>(١)</sup>.

ووصف آخر صفحة من المخطوطة بقوله: وجاء في آخر النسخة في آخر

صفحة من المخطوطة

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

كتبه لنفسه العبد الفقير إلى رحمة ربه وشفاعة

جده الحسن بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن زيد

ابن أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدالله بن علي بن عبيدالله

ابن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي

ابن أبي طالب صلوات الله عليهم وسلامه. حامداً

الله تعالى على نعمه السابغة ومصليا على سيدنا محمد النبي

(١) السابق نفسه ص ٥٦ - ٥٧.

وآله الطاهرين ومسلما تسليما كثيرا.

في شهر رمضان سنة تسع عشر وستماية هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام<sup>(١)</sup>.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدكتور محمد عبدالقادر أحمد قد أخطأ في

ذكره اسم عبيدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن أبي طالب حيث ذكر أن

اسمه عبدالله والصواب كما هو واضح في نسخة الدكتور حسين علي محفوظ

المطبوعة بالتصوير عن نسخة جامعة طهران أن اسمه عبدالله.

والميزة الأخرى التي يتميز بها وصف مضمون النسخة المخطوطة عند

الدكتور محمد عبدالقادر أحمد أنه عقد مقارنة بين منهج ابن حبيب البغدادي في

كتابه هذا "أمهات النبي ﷺ"، ومنهجه في كتابه "المجرب".

فعن منهج ابن حبيب في أمهات النبي ﷺ يقول المحقق وقد رسم ابن حبيب

لنفسه في هذا الكتاب منهجا سار عليه والتزم به من أول الكتاب حتى آخره،

فهو يبدأ كتابه بالبسملة، ثم باسم راوي الكتاب أبي الحسن أحمد بن محمد بن

الجهم السمرى وقراءته على مؤلفه أبي جعفر محمد بن حبيب، ثم اسم الرسول

ﷺ بخط عريض، ومن تحته أسماء أمهاته، اسم أمه آمنة بنت وهب، ثم اسم أمها

واسم أم أمها، ويستمر في ذلك ذاكراً أسماء ثمان أمهات للرسول حتى يصل

بالأم الثامنة إلى ثقيف.

ثم ينص على اسم أبيه بخط عريض، ويذكر أمهاته، ثم اسم جده

عبدالمطلب ويذكر أمهاته، وهاشم وعبد مناف، وقصى إلى آخر السلسلة وعندما

يذكر كل جد يذكر أمهاته<sup>(٢)</sup>.

(١) السابق نفسه ص ٥١.

(٢) السابق نفسه ص ٨٩.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن ابن حبيب البغدادي قد ذكر للنبي ﷺ ثماني أمهات، وذكر لوالده عشر أمهات، وذكر لجدّه عبدالمطلب أربع أمهات، وذكر لجدّه هاشم أربع أمهات، وذكر لجدّه عبد مناف أمين، وذكر لجدّه قصي ثلاث أمهات، وذكر لجدّه كلاب أربع أمهات، وذكر لجدّه مرة ثلاث أمهات، وذكر لجدّه كعب أربع أمهات، وذكر لجدّه لؤي ثلاث أمهات، وذكر لجدّه غالب ثلاث أمهات، وذكر لجدّه فهر ثلاث أمهات، وذكر لجدّه مالك أمين، وذكر لجدّه النضر أمًا واحدة، وذكر لجدّه كنانة أمين، وذكر لجدّه خزيمه أمًا واحدًا، وكذلك فعل مع أجداده مدركة، وإلياس، ومضر، ونزار، ومعدّ حيث ذكر لكل واحدٍ منهم أمًا واحدة، ولم يذكر اسم أم جدّه عدنان.

ومن هذا العرض يتبين أن حبيب لم يلتزم بمنهج ثابت في ذكر أسماء أمهات أجداده ﷺ فتارة يذكر للجد أمًا واحدة مثلما فعل مع أجداده النضر وخزيمة، ومدركة، وإلياس، ومضر، ونزار، ومعد، وتارة يذكر للجد أمين مثلما فعل مع أجداده عبد مناف، ومالك، وكنانة، وتارة يذكر للجد ثلاث أمهات مثلما فعل مع أجداده قصي، ومرة، ولؤي، وغالب، وفهر، وتارة يذكر للجد أربع أمهات مثلما فعل مع أجداده عبدالمطلب، وهاشم، وكنانة، وكعب وتارة لا يذكر للجد أمًا مثلما فعل مع جدّه عدنان.

ومن خلال قراءتنا لما أورده ابن حبيب من أسماء أمهات أجداده ﷺ يتبين لنا أيضا أنه ينص أحيانا على الاختلاف في اسم الأم أو على الاختلاف في اسمها أو على الاختلاف في اسمها واسم أبيها معًا، فمثال نصه على الاختلاف في اسم الأم قوله عن أم لُبَابَة بنت عبد مناة بن كنانة جدّة كلاب بن مرة وأمها هند ويقال عاتكة بنت دُوْدَان بن أسد بن خزيمه<sup>(١)</sup>، ومثال نصه على الاختلاف

(١) السابق نفسه ص ٩١.

في اسم أبيها قوله عن أم فهر بن مالك وأم جندلة بنت عامر ابن الحارث بن مضاض بن زيد بن مالك بن عياض بن جرهم ويقال بل جندلة بنت الحارث بن جندل بن مضاض بن الحارث<sup>(١)</sup>، ومثال نصه على الاختلاف في اسم الأم واسم أبيها مع قوله عن أم كنانة بن خزيمة وأم عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر ويقال بل هند بنت عمرو بن قيس بن عيلان.

ومن خلال قراءتنا لما أورد من أسماء أمهات أجداده ﷺ يتبين لنا أيضا أنه أحيانا يقوم بالتعريف بالعلم الذي يذكره ليزيد القارئ معرفة به مثلما فعل عند حديثه عن جدّة قصي بن كلاب المباشرة طرّيفة بنت ذي الراسين حيث قال معرفاً بذوي الراسين: "وهو أمية بن جشم بن كنانة بن عمرو بن قين بن فهم"<sup>(٢)</sup>، ومثلما فعل عند حديثه عن عكرشة بنت عدوان أم مالك بن النضر حيث قال معرفاً بوالدها عدوان وهو الحارث بن قيس بن عيلان بن مضر<sup>(٣)</sup>.

كان هذا الحديث عن منهج ابن حبيب البغدادي في كتابه أمهات النبي ﷺ أما عن منهجه فيما كتب في هذا الموضوع في كتابه المحبر فيختلف عن المنهج الذي اختطه هنا، فمنهجه في المحبر سار فيه على أساس ذكر العواتك اللاتي ولدن رسول الله ﷺ، وتحت العواتك جمع كل من تسمى عاتكة من أمهات الرسول، ثم ذكر الفواطم اللاتي ولدنه ﷺ، وذكر تحت هذا العنوان كل من تسمى فاطمة من أمهاته ﷺ، وأمهات أجداده، وتحت تقسيم العواتك والفواطم أجرى تقسيماً آخر، فالعواتك من قریش ثنتان ذكرهما تحت عنوان القرشيتان ومن بني يخلد بن النضر بن كنانة واحدة، ومن بني سليم ثلاث ذكرهن تحت عنوان

(١) السابق نفسه ص ٩٣.

(٢) السابق نفسه ص ٩٢.

(٣) كان يجب أن يقول فالقرشيتان من العواتك ... لأنه قال بعدها والقرشية من الفواطم... فدل بهذا على أن ابن حبيب كان يتكلم عن العواتك أولاً.

السلميات، ومن عدوان ثنتان سماهما العدوانيتان، ثم أسدية، وهذلية وقضاعية، وأزدية.

وتحت تقسيم الفواطم أجرى تقسيماً فرعياً فذكر أن إحداهن قرشية، وقيسيتان، ويمينتان.

وتحت هذه التصانيف الفرعية التي يربطها بالقبائل العربية يذكر أسماء الأمهات ولحمة النسب التي تربط الرسول ﷺ بهذه القبائل، فالقرشيتان<sup>(١)</sup> من قبل أبيه، والقضاعية من قبل كعب بن لؤي بن غالب، والأسدية من قبل كلاب بن مرة، والقرشية من الفواطم من قبل أبيه عبدالله، واليمانيتان من الفواطم من قبل قصي ابن كلاب<sup>(٢)</sup>.

كان هذا الحديث عن الوجه الأول من وجوه الاختلاف في المنهج بين ما ورد بأمهات النبي ﷺ وما ورد بالمحبر من حديث عن النسب الشريف، أما الوجه الآخر من وجهي هذا الاختلاف فيكمن في أن ابن حبيب كان في كتاب المحبر عندما يتعرض لأم جد من جدود الرسول ﷺ يذكر أمه ونسبها، ثم يذكر أسماء أمهات آبائها، أما في كتابه أمهات النبي فإنه يذكر أسماء سلسلة نسبه ﷺ ثم يذكر أسماء أمهات الأمهات<sup>(٣)</sup>.

## ٥-

سبق أن أشرت في غير موضع من هذا البحث أن الدكتور/ حسين علي محفوظ قام بنشر كتاب أمهات النبي ﷺ عن طريق طبع الصورة الشمسية

(١) السابق نفسه ص ٥٢، ٥٣، وكان يجب أن يقول في فالقرشيتان من العواتك لأنه قال بعدها:

والقرشية من الفواطم فدل بهذا على أن ابن حبيب كان يتكلم عن العواتك أولاً:

(٢) السابق نفسه ص ٥٣.

(٣) أمهات النبي ﷺ، نشرة د. حسين علي محفوظ ص ٥.

لمخطوطته، وظهرت هذه النشرة في بغداد عام ١٩٥٢م وكان هذا واحداً من الأسباب التي حدت بالدكتور/ محمد عبد القادر أحمد أن يقوم بإعادة تحقيق الكتاب ونشره وفي هذا يقول إن ناشر الكتاب الدكتور حسين علي محفوظ لم يقوم بنسخ المخطوطة عن الأصل وتقديمها إلى القارئ مطبوعة بحروف المطبعة كما نفعل في معالجة المخطوطات ونشرها، ولكنه اكتفى بنشر صورة النسخة الأصلية مصورة عن الأصل<sup>(١)</sup>.

وقد انتهج الدكتور/ محفوظ هذه السبيل لحرصه على خصائص النسخة التي لا تستطيع صناعة الطبع أن تأتي بها<sup>(٢)</sup> ولأنها تُنم على عناية الأقدمين بصحة الاستنتاج، وإغراقهم في تجويد الكتابة، وإمعانهم في الضبط<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذه الغايات لا تشفع له عند الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد الذي يرى أنه ليس في مقدور كل قارئ في هذا العصر أن يقرأ المخطوطات العربية خاصة وأن هذه النسخة كتبت في سنة ٦١٩هـ أي في القرن السابع الهجري، وعلى الرغم من أنها كتبت بخط نسخي حسن إلا أنه ليس من السهل على القارئ العادي أن يقرأ حروف المخطوطات العربية، وحتى المتخصص في نشر المخطوطات وتحقيقها ليس من السهل عليه أن يقرأ بطلاقة ويسر حروف المخطوطات، يضاف إلى ذلك أن ما قدمه الناشر عبارة عن صورة مصورة عن الأصل، وليس التصوير كالأصل فبعض الحروف قد تضيع في التصوير ولا تبدو واضحة كالأصل تماماً<sup>(٤)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن الدكتور/ محفوظ لم يخطئ حين نشر

(١) السابق نفسه ص ٥٨.

(٢) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) أمهات النبي ﷺ، نشرة د. محمد عبد القادر ص ٥٨، ٥٩.

(٤) أمهات النبي ﷺ، نشرة حسين علي محفوظ ص ٥٦، ٥٥.



الكتاب بطبع الصورة الشمسية للمخطوطة لأنها فريدة لا ثانية لها، وقد نقلت من نسخة مكتوبة من نسخة أبي الحسن أحمد بن محمد بن الجهم السمرى التي رواها عن المؤلف، وعليها سماع علي بن محمد الأسدي<sup>(١)</sup>.

والنسخ التي هذا شأنها يجوز فيها الطبع عن طريق التصوير الشمسي يقول برجستراسر ونورد هنا كلمة عن طبع الكتب بنشر الصورة الشمسية إن لم يوجد للكتاب إلا نسخة واحدة قديمة، واضحة سهلة الكتابة، وهذه لا بأس من نشرها إذا لحق الناشر بالصورة الشمسية كل ما يحتاج إليه من الهوامش والفهارس وغيرها كما فعل Von Mzik في نشر كتاب الوزراء لابن عبدوس الجهشيارى، وكذلك إذا كان لا يوجد للكتاب إلا نسخة واحدة وهو في غاية الصعوبة، ولا يوجد من يتجاسر على تصحيح نصه، ويجتهد في شرحه، وكانت الحاجة إلى نشره ضرورية فلا بد من نشر الصورة الشمسية مكان طبع الكتاب بالحروف فهذه هي حالة ديوان الشاعر الأندلسى ابن قزمان المتوفى ٥٥٥هـ الذي ألف أكثر شعره في لهجة الأندلس العربية الدارجة، وبعضه بالأندلسية القديمة مكتوبة بالحروف العربية ونشره دي جونسبورج صورة شمسية للنسخة الوحيدة ونشر الصورة الحسية هنا كما ينوب عما هو خير منه عند الضرورة، وعلى كل حال فالصورة الشمسية لنسخة مضبوطة صحيحة أتمتع من طبع نسخة لا يعنى ناشرها بتصحيحها أو غير أو بذل فيها<sup>(٢)</sup>.

ويتطبيق هذه الأصول النظرية التي تحدث عنها برجستراسر على صنيع الدكتور/ حسين علي محفوظ نرى أنه لم يجد قيد أمثلة عن منهجية النشر العلمى للنصوص التراثية كما وضعها المستشرقون حيث أتبع نشر صورة النص بطائفة

(١) أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجستراسر مرجع سابق ص ١١٢، ١١٣.

(٢) أمهات النبي ﷺ، نشرة حسين علي محفوظ، التعليق على الورقة ١/٢ ص ١٨.

كبيرة من التعليقات بلغت ثمانية وستين تعليقاً، وإذا علمنا أن النص كله يتكون من سبع ورقات أدركنا ضخامة الجهد الذي بذله الناشر في التعليق عليه.

ولقد تنوعت هذه التعليقات تنوعاً كبيراً فمنها ما كان خاصاً بذكر تنمة النسب كما في تعليقه على اسم أم عبد الله بن عبد المطلب الثامنة عاتكة بنت عامر بن الظرب حيث قال: تُتمة النسب في المحبر ص ٥٠ هكذا؛ الظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن الحارث بن عدوان<sup>(١)</sup>، وكما في تعليقه على اسم أم كعب بن لؤي ماوية بنت كعب بن القين بن جسر بن شيع الله بن أسد بن وبرة حيث قال: تُتمة النسب في الطبري ١١٠٠، والطبقات ص ٣٥، أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه التعليقات ما كان خاصة بذكر اختلاف اسم الأم في المصادر المتعددة كما في تعليقه على اسم أم فھر بن مالك جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاھ بن زيد بن مالك بن عياض بن جرهم، أو جندلة بنت الحارث بن جندل حيث قال: "وعن ابن اسحاق: أمه جندلة بنت الحارث بن مضاھ بن عمرو الجرهمي وعن أبي عبيدة: أمه سلمى بنت أد بن طابخة، وقيل: إن أمه جميلة بنت عدوان بن بارق من الأزد، راجع الطبري ص ١١٠٢<sup>(٣)</sup>.

ومن تعليقات الدكتور/ حسين علي محفوظ -أيضاً- ما كان خاصاً بضبط أسماء الأعلام كما في تعليقه على اسم حمالة بن عوف بن عامر الجادر حيث قال حمالة بالكسر في الطبري ص ١٠٩٢، وفي الطبقات ص ٣٥ حمالة بالفتح<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق نفسه، التعليق على الورقة ٣/أ ص ٢٠.

(٢) السابق نفسه، التعليق على الورقة ٣/ب ص ٢٠، ص ٢١.

(٣) السابق نفسه، التعليق على الورقة ٢/ب ص ١٩.

(٤) أمهات النبي ﷺ نشرة محمد عبدالقادر أحمد ص ٨٥.

ووضع الدكتور/ محمد عبد القادر أحمد على نص كتاب ابن حبيب  
البغدادي ثمانية وثمانين هامشاً يمكن تصنيفها على النحو التالي:

أولاً: ما أخذه من تعليقات الدكتور/ حسين علي محفوظ دون أن يشير إليه،  
أو يزيد عليه، ويندرج تحت هذا القسم العدد الأكبر من الهوامش التي صنعها،  
وبحسب المرء أن يقابل بين هوامشه على أسماء أمهات أجداده ﷺ كلاب، ومرة،  
وكعب، ولؤي، وغالب، وفهر، وبين تعليقات الدكتور/ حسين علي محفوظ  
على هذه الأسماء ليكتشف أن هذه الهوامش هي عبارة عن هذه التعليقات  
بألفاظها، وأرقام صفحات المصادر التي استمدت منها.

ثانياً: ما انفرد به هو من الهوامش والتعليقات فعندما أورد ابن حبيب اسم  
عبدالمطلب بن هاشم صنع الدكتور محمد عبدالقادر هامشاً ذكر فيه أن اسم عبد  
المطلب شيبه، ثم ذكر أن اشتقاق شيبه من الشيب من قولهم شاب شيبه شيبه حسنة،  
وشيباً حسناً<sup>(١)</sup>، وعندما أورد ابن حبيب اسم هاشم بن عبد مناف صنع الدكتور  
محمد عبدالقادر هامشاً ذكر فيه أن هاشماً سمي بهذا الاسم فيما يزعمون لهشمه  
الخبز للثريد واسمه عمرو، وعندما ذكر ابن حبيب اسم أم النضر بن كنانة برة  
بنت مر صنع الدكتور محمد عبدالقادر هامشاً ذكر فيه أنها أخت تميم بن مر.



(١) أمهات النبي ﷺ نشرة محمد عبدالقادر أحمد ص ٨٦.

## كتب أخرى للمؤلف

### مرتبة حسب تاريخ نشرها لأول مرة

١- الصفدي وشرحه على لامية العجم، دراسة تحليلية، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، والطبعة الثانية ٢٠٠٢، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥، وكلها صدرت عن مكتبة الآداب بالقاهرة، والطبعة الرابعة عام ٢٠٠٦ وقد صدرت عن مطبعة الشاعر بطنطا، ثم صدرت الطبعة الخامسة عن مكتبة الآداب - بالقاهرة عام ٢٠٠٧، وقد كتب عليها خطأ الطبعة الأولى لذا لزم التنويه هنا حيث لم نستطع إصلاحها هناك، وهذا الكتاب جزء من رسالتي التي أحرزت بها درجة الماجستير بتقدير ممتاز عام ١٩٩١م.

٢- شهاب الدين أبو الشاء محمود الحلبي كاتباً رؤية أدبية ونقدية، الطبعة الأولى، مطبعة الشاعر بطنطا، ٢٠٠٦م، وهو جزء من رسالتي التي أحرزت بها درجة الدكتوراه عام ١٩٩٩م بمرتبة الشرف الأولى.

٣- رائية جمال الدين التبريزي في واقعة مرج الصفر قراءة في شبكة الظروف والتناص، نشر بالعدد الثالث من المجلد العاشر من مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، القسم الأدبي الصادر في عام ٢٠٠٤، ثم نشر بعد ذلك في طبعة مستقلة بعنوان: دراسات في روائع الأدب المملوكي، (٢)، رائية جمال الدين التبريزي في واقعة مرج الصفر مقارنة تحليلية، وصدر عام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م عن مكتبة الآداب بالقاهرة.

٤- ابن القم الزبيدي ورسالته إلى أبي حمير اليماني في المديح والاستعطاف رؤية موضوعية وفنية، نشر بالعدد الثالث من المجلد الحادي عشر من مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، القسم الأدبي، الصادر في عام ٢٠٠٥، ثم نشر بعد ذلك في طبعة مستقلة بعنوان دراسات في غرر الأدب الفاطمي، (١)، ابن القم

الزبيدي ورسالته إلى أبي حمير اليماني في المديح والاستعطاف، رؤية في البناءين الموضوعي والفني، وصدر عام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م عن مكتبة الآداب بالقاهرة.

٥- ديوان تقي الدين السروجي ما تبقى من شعره وموشحاته، جمع وتحقيق ودراسة، نشر بمجلة كلية الآداب جامعة الزقازيق في عددها الحادي والأربعين الصادر في ربيع ٢٠٠٧م، ثم نشر بعد ذلك في طبعة مستقلة بعنوان: دراسات في روائع الأدب المملوكي، (١)، ديوان تقي الدين السروجي ما تبقى من شعره وموشحاته جمع وتحقيق ودراسة، وصدر عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، عن مكتبة الآداب بالقاهرة.

وللمؤلف تحت الطبع:

٦- شخصيات مصرية، ويضم مجموعة مختارة من المقالات التي نشرها المؤلف من قبل في مجلة الأزهر، ومنبر الإسلام، ومجلة المجلة العربية السعودية، وفي جريدة الأخبار القاهرية في المدة من عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م إلى عام ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٠م.



### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

3	5
6	7
8	9
11	12
14	15
16	17
18	19
20	21
22	23
24	25
26	27
28	29
30	31
32	33
34	35
36	37
38	39
40	41
42	43
44	45
46	47
48	49
50	51
52	53
54	55
56	57
58	59
60	61
62	63
64	65
66	67
68	69
70	71
72	73
74	75
76	77
78	79
80	81
82	83
84	85
86	87
88	89
90	91
92	93
94	95
96	97
98	99
100	101



## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	• الإهداء
٥	• المقدمة
١١	• الفصل الأول: في قراءة الشعر والنثر
١٣	١- صورتان للبخل والكرم للعريان بن سهلة الجرمي
١٧	٢- من أدب الوصايا لأوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء
٣٥	٣- في الفخر الذاتي لأبي العلاء المعري
٥٤	٤- قراءة في ديوان قصائد للإسلام والقدس
٦٥	٥- بكاء الشادوف لمحمد عبدالحليم عبدالله
٧٧	• الفصل الثاني: نصوص للقراءة الجهرية وموضوعات للمطالعة الصامتة
٧٩	١- في الدعوة إلى السلام لمرثد الخير بن ينكف
٨٣	٢- في الرحلة إلى الإيمان لِحُنايفر بن التوأم الحميري
٨٧	٣- في العتاب والفخر لذي الأصبغ العَدَواني
٩١	٤- من رجالات العرب
٩١	• قس بن ساعدة الإيادي الخطيب المَفُوء
٩٣	• الأحنف بن قيس الحلِيم الناصح للحاكم والمحكوم
٩٥	• كتاب أمهات النبي ﷺ لمحمد بن حبيب البغدادي
١٢٤	• كتب أخرى للمؤلف



هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

[www.alukah.net](http://www.alukah.net)